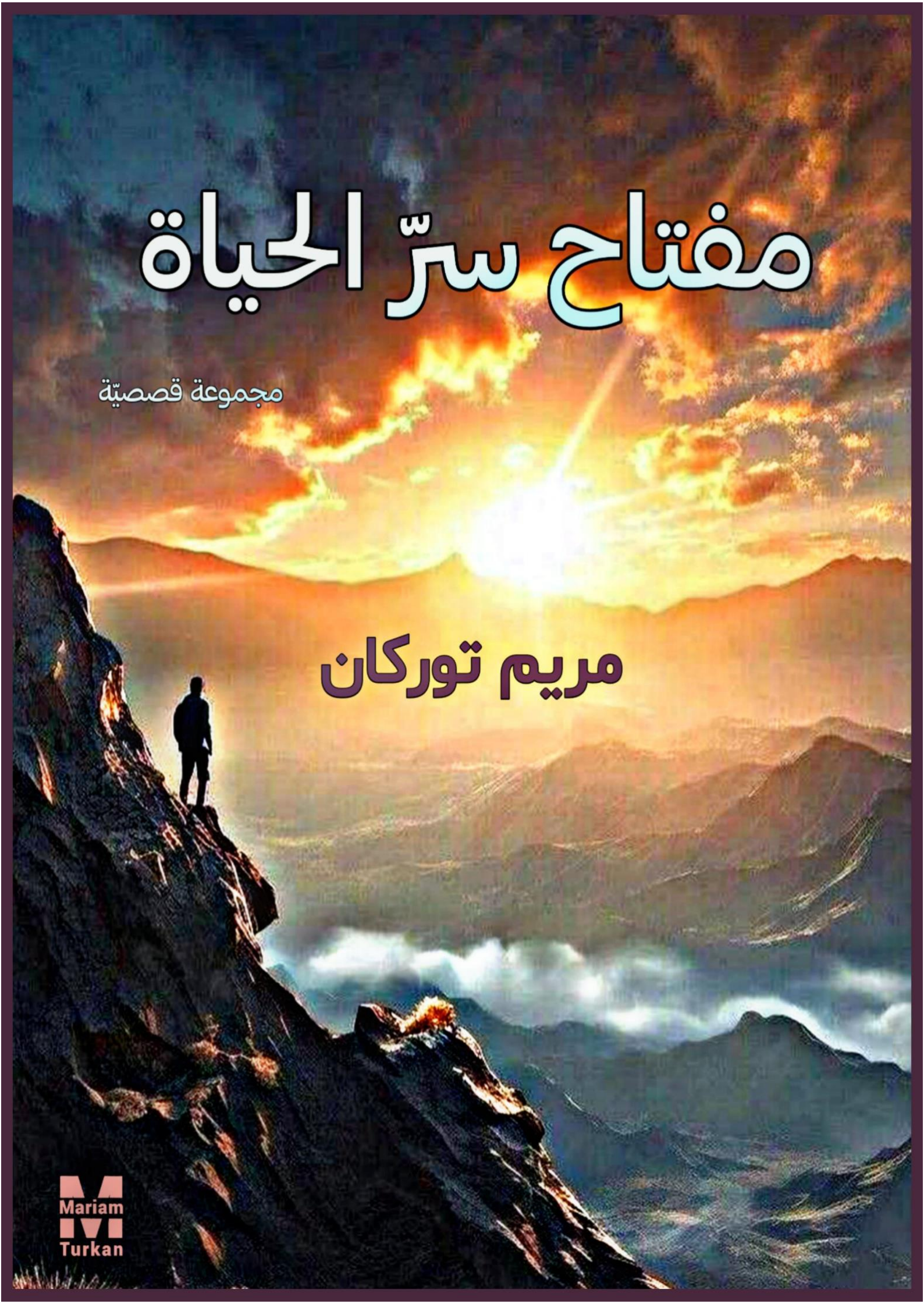
مفتاح سرّ الحياة
مجموعة قصصيّة
مريم تورکان
Mariam
Turkan

مفتاح سرّ الحياة

مريم توركان

اسم العمل: مفتاح سرّ الحياة

نوع العمل: مجموعة قصصيّة

اسم الكاتبة: مريم توركان

تدقيق لغوي: مريم توركان

تصميم الغلاف: مريم توركان

تنسيق داخلي: مريم توركان

الإهداء

إلى أجلّ نِعَمي ومَهوى قلبي.. إلى أُمّي، لرّوحكِ الطاهرة السعادة، ولنفسكِ الزكيّة الحُبّ كُلّ الحُبّ، ولقلبكِ منّي السّلام.

بضعتُكِ مريم توركان

نبض الفراولة

أخذَ عطفٌ يختارُ اسمًا لمولودتهِ التي وُضِعتْ للتو، اِحتارَ من كثرةِ الأسماء التي يُحِبُّها، قرَرَ أنْ يُسمّيها اسمًا جامعًا فكانَ (ميم).

مَرِضتْ إيواء بعدَ الوضعِ مُباشرةً فَحُجِزَ بينها وبينَ ميم، لئلا يُصيبَ ابنتها ما أصابها من الحُمّى.

أرادَ عطفٌ أنْ تَبقى ابنتهُ على قيدِ الحياة، فاستأجرَ لها مُرضعاتٍ لكنَّها أبتْ أنْ ترضعَ منهُنَّ، حاولَ أنْ يُرضعها لبن الغنم، لكنَّها لا تستجيب، ابتاعَ لها بعض اللبن الجافّ، ثُمَّ قامَ بخلطهِ ببعضِ الماء

الدافئ السابق غليه، لكنَّها لفظتهُ من جوفها حينها حاولَ إرضاعها إيَّاه.

لم تبقى محاولة لإرضاعِ ميم إلَّا وقد فعلها عطفٌ لكنْ بلا جدوى، ماتتْ إيواء بالحُمّى، وبقيَ زوجها وحيدًا يبكيها بُكاء الابن فِراقَ أُمّه، بينما ميم تُصارع الموت بعدَ رفضها الرضاعة.

وارى عطفٌ جسدَ إيواء التُراب، ثُمَّ أخذَ ميم وذهبَ بِها إلى جبلِ الحلول، ذلكَ الجبل الذي اِجتمعتْ بهِ حلول كُلّ المُشكلات، وما أنْ وَصَلَ حتّى تصدّعَ الجبل، ظَنَّهُ زلزال فاختبأ خلفَ ساترٍ من الرِمال، لحظاتٍ وعادَ الجبلُ كما كان، وَقَفَ عطفٌ أمامهُ حاملًا ميم على أكُفَّه، سألَ الجبلُ حلًّا فقد أبتْ الرضاعة ولم يَجدْ لها حلًّا.

تَفَّتَقَ الجبل لتظهرَ كُوّة، اِقتربَ منها عطفٌ ومَدَّ يدهُ لتخرجَ بمطويةٍ قديمة، فتحها على الفورِ

وقرأها، فإذ بِها خريطة توضّح لهُ طريقٌ يُؤدي إلى شجرةٍ عتيقة، فَهِمَ مَقصِدَ الخريطة وبدأ في التحرُّكِ مُتتبعًا ما خُطَّ بِها من تعليمات.

مَرَّ وقتٌ يسير وقد وَصَلَ عطفٌ إلى مُبتغاه، فها هو الآن يَقِفُ أمامَ الشجرة العتيقة، أخذَ ينظر إليها ولسانُ حالهِ يقول: كيفَ لشجرةٍ عتيقة أيبسها الزمان بحلِّ مُشكلةِ ابنتي الرضيعة؟

لحظاتٍ وتحرّكتْ الشجرة، شَعَرَ عطفٌ ببعضِ الخوف، لكنْ سُرعان ما ذَهَبَ عنهُ الروع، حينَ رأى لبنًا يخرُجُ من باطنِ جذع الشجرة، حاولَ أنْ يغترفَ غُرفةً بيدهِ لكنَّهُ قد جَفَّ الجذع، ظَنَّ أنَّ الأمرَ قد اِنتهى وسيعود كما جاء، حتّى هَطَلَ اللبن من فرعٍ صغيرٍ ليَخيبَ ظنّه.

قَرَّبَ الفرع من فَمِ ابنتهِ لتلتقمهُ بيُسرٍ ومرونة، أخذتْ ترضع حتّى شَبِعَتْ ونامتْ، فَرِحَ عطف بحلِّ مُشكلة ميم، ثُمَّ نامَ بجوارها تحتَ ظِلِّ الشجرة.

ظَلَّ عطفٌ مُقيمًا عندَ الشجرةِ حتّى بلغتْ ميم عامها الثاني، فقررَ أنْ يعودَ بِها إلى البيت، لكنَّ شيئًا ما قد منعه، إذ أصابهُ النسيان فلم يَعُد يَذكُرُ شيئًا ممّا كان، ليبقى مُقيمًا بمكانه، دونَ الدرايةَ بزمانه.

كَبُرَتْ ميم بينَ الشجرة العتيقة بأفرعها السميكة، والبئر الصغير بعُمقهِ الخطير، وقد اِشتعلَ رأسُ عطفٌ شيبًا، ورأى أنَّ البقاءَ عيبًا، لذا لا بُدَّ من الذهاب إلى البيتِ والأحباب، فقد اِنقضى العُمر وشابَ الأصحاب.

لم يَكُن يعلم أنَّ الشجرةَ مسحورة بسِّحرٍ عتيق، فعلهُ بِها شَّيطانٌ زنديق، وأنَّ ما شربتهُ ميم كانَ

ماء، والماء سرّ الحياة، قد أوهمتْ الرضيعة، بحيلةٍ وضيعة، لتَرى الماء لبنًا، والفرعُ ثديًا.

عَلِمَ عطفٌ بالسِرّ، فأخفى وأسَرّ، لكنَّهُ مذعور، من كُوّةِ النور، فقد فُتِحَتْ على يدِ ميم، رُّبما هي لُعبةٌ من ساحرٍ أثيم، إذًا ما هي الحلول، فالأمر تعقّدَ بعدَ أنْ كانَ محلول؟!

عَلِمَتْ الشجرة نواياه، فأخبرتهُ بسرِّ إيواء الذي أخفاه، إذ كانتْ لا أُمّ ولا أبَ لها، رضعتْ من ذاتِ فرعها، بعدَ أنْ غَدَرَ بِها الأبوان، حَزِنَتْ على نفسها وأضحتْ معقودة اللسان، بشّرتها الشجرة بأنَّها ستلد فتاةٌ جميلة، مِقدامةٌ نبيلة، ستكون واحدة على مرِّ الزمان، لن يكونَ مِثلها إنسان.

خشيَ عطفٌ بكشفِ السرّ، فتراجعَ عن نيّته، ولم يُخبر ميم بما أسرّ.

مضتْ السنون وقد لاحظَ عطفٌ أنَّ ميم تُحِبُّ الفراولة أكثرَ من أيّ فاكهة، فتأكلها وتعصرها، وأخيرًا تطهوها.. لا يدري كيف؟

أخذَ يرقبها فرأها لا تأكل إلَّا الفراولة، لا تتناول سائر الفاكهة التي تملأ الحديقة المُقابلة لبيتهما الصغير تحتَ الشجرة، بل لا تتناول الحمام والأرانب، كُلّ ما تتناولهُ طِيلةَ يومها فراولة وفراولة وفراولة أيضًا.

اِستيقظتْ ميم باكرًا على صوتٍ يُناديها، الوقتُ قد حان، يا نبضَ الفراولة هيّا لأميرِ الزمان، أخذتْ توضّح أنا ميم ولستُ نبض الفراولة، لكنَّ الصوت مُصرّ على أنَّها هي نبضُ الفراولة، اِقتربَ منها وأسَرّ، ثُمَّ مَسَحَ على عيناها، لتَرى نفسها في حُلّةٍ ما أبهاها!

عادتْ لوعيها حينَ تذكّرتْ أباها، ثُمَّ هرعتْ إليه، لتعلمَ ما لديه، فقد كانَ يحكي لها، عن قصّةٍ مُشابهة، أخبرتهُ بما رأتْ، وليتها ما حَكَتْ.. إذ أنَّ أباها لم يَكُن أباها، بل كانَ صقرًا وتحوّلَ بينَ عشيةٍ وضُحاها.

ماتَ أبوها مُنذُ سنين، فتمّثل الصقر بصورةِ الإنسيين، ليُهوّنَ عليها، ويُنّمي لديها، قصّة بطلة الزمان، نبض الفراولة، ومُغامراتها مع أمير الزمان، ما حَدَثَ لها تشيبُ لهُ الولدان، كادَ عقلها يُجنّ، أو قُلْ ويكأنْ.

مضى يومان وقد تفهمّتْ ميم ما حدث، ثُمَّ أخذتْ تقرأ أكثر عن مملكةِ أمير الزمان، تلكَ المملكة السعيدة سابقًا، الحزينة حاليًا، المعزولة عن العالَم بفِعلِ خبيرٍ عالِم.

أخبرتها الشجرة بأصلِ الحكاية، عن طريقِ مطوياتٍ محفوظة، بجذعها محفورة، فَهِمَتْ ميم المطلوب، وتجهّزتْ ثُمَّ ذهبتْ إلى المكانِ المقصود.

وصلتْ بعدَ أيَّام، لا تدري كيفَ تدخل إليهم، فالأبواب كُلّها مُغلقة، جلستْ أمامَ إحدى البوّابات، تتذكّرُ عهدًا فات، أخذَ تذكرُ ما شاءتْ من الذكريات، حتّى إذا ما وصلتْ إلى سببِ تسميتها بميم، تذكّرتْ عهدًا قديم، إذ أنَّ أباها قد سمّاها ميم، لحُبِّهِ لأسماءٍ كثيرة تبدأُ بحرفِ الميم، كَمُحمّدٍ ومحمود، ومُصطفى ومسعود.. وهُنا فُتِحَتْ البوّابة.

دلفتْ ميم وأُغلِقَتْ البوّابة دونها، ليراها شعب المملكة، فإذ بِهم مُكبّرينَ مُهللين، سألتهم إنْ كانوا يعرفونها، أخبروها أنَّها نبض الفراولة، قد عرفوها من وصفِ أميرِ الزمان ملك المملكة، الذي

أصابهُ سِحرٌ جعلهُ طريح الفِراش مُنذُ سنين، قد أخبرهم أنَّ حلَّهُ عند نبض الفراولة؛ فتاةٌ حسناء، ذات بشرةٍ بيضاء، وعيونٍ بُنيّة، بلمعةٍ سحرية، وشامة فوقَ شفتها العُلوية، وأُخرى بطابعِ الحُسن، وأرنبةٍ صغيرة هي أنفها، وكثيفةٌ أهدابها، أزّجةُ الحاجبين، مُتوسطةُ القامة، رشيقةُ القوام، صغيرةُ اليدانِ والقدمان، إذا حَلّتْ بمكان سادهُ الأمان، عطوفةٌ حنونة، حيّيةٌ مزيونة، تحوطها هالة من نور.

سارتْ ميم بينهم وتعرّفتْ على بيوتهم، وأُعجبتْ بشوارعهم النظيفة التي تفوحُ منها رائحة الفراولة، ثُمَّ جلستْ لتتناولَ مع بعض النساء طعام الغداء، فكانتْ المُفاجأة؛ أطباقٌ مُتنوعة من الفراولة، أخذتْ تنظر إلى الطعام، وتذكّرتْ حينَ كانتْ لا تتناول سوى الفراولة وحُبّها لها، عَلِمَتْ

أنَّها كانتْ تُجهَّز دونَ عِلمها، إذ أنَّ هذهِ المملكة لا تعرفُ شيئًا عن الطعامِ إلَّا الفراولة، فعليها يعيشون، وبِها يقتاتون، وعن غيرها لا يعلمون.

بعدَ أيَّامٍ من إقامتها، أخذوها لمخدعِ ملك المملكة، دلفتْ فألقتْ عليهِ السلام، وهو نائمٌ لا يدري عن الأيَّام، ثُمَّ تركوها معه، اِقتربتْ منه، فرأتهُ وسيمًا جميلًا، ذو شعرٍ كثيف إلى نصفِ الآذان، أحمرٌ قوّيُ البنية، اِقتربتْ منهُ أكثر ثُمَّ أخذتْ تهمسُ في أُذنهِ ببعضِ آي القرآن، التي حفّظها إيَّاها أباها في صِغرها.

تعمّقتْ في النظرِ إليه، فرأتْ شامة في رقبته، كَتلك التي بِها، ثُمَّ رأتْ شامة أُخرى بظهرِ يدهِ كالتي تمتلكها، وضعتْ يدها على جبينهِ فتعرّق، أخذتْ تبكي دونَ توقف، تساقطتْ عَبراتها على يدِ أمير الزمان، فعادَ وعيه، وفتحَ عينه، وتبسمَ لها.

زُيّنَتْ المملكة بزيناتٍ زاهية، جميلة وباهية، وفاحتْ رائحة الفراولة الزكية، كما مُدَّتْ الموائد، وازدانتْ بالحلوياتِ والعصائر المصنوعة من الفراولة، خَرَجَ أمير الزمان، ليُعلنَ تعافيه، ويزّف لهم البُشرى بزواجهِ من نبضِ الفراولة ابنةَ عطفٍ وعمّتهِ الأميرة إيواء؛ التي تركها أباها عندَ جبلِ الحلول وهي رضيعة، حينَ بلّغهُ أحد المُنّجمينَ أنَّها سوف تتزوّج من غيرِ قرابتها، لتُلحقَ العار بعائلتها المَلكية، وأخبرَ أُمّها الأميرة حسناء أنَّها ماتتْ.

ثُمَّ أَمَرَ أحد العُلماء بِاختراعِ شيءٍ يُخفي المملكة عن العالَم، فكانَ ما أراد، لكنَّ الأثر السلبي هو ما أصاب محصول الفراولة المزروع آنذاك، فجعلهُ طعام المملكة الأوحد بعد قتلِ سائر النباتات والحيوانات.

عادتْ نبض الفراولة (ميم) لبيتِ جدّها لأُمّها الملك خير الزمان، وتزوجتْ من ابن خالها أمير الزمان، فأنجبها عطفٌ وإيواء، وخير الزمان وحسناء.

نورشان

عاشتْ حياة حياةً سعيدة ببيتِ أبيها، حتّى تقدّمَ لها أشرف رغبَة في الزواجِ منها، ورغم أنَّها رفضتْ قبلهُ الكثيرينَ إلَّا أنَّها وافقتْ عليهِ.

تعجبَ أبيها وإخوتها من موافقتها، لكنَّ أُمّها كانتْ راضية؛ إذ أنَّ أشرفَ يقرُبها من درجةٍ بعيدة، لكنَّهُ يقرُبها!

أخبرها أخيها الذي يكبرها بعدمِ رغبتهِ في مُصاهرةِ شخصيةٍ كَأشرف، مُتواكل، غير مُجتهد، لا يتوافق معهم فِكريًا واجتماعيًا؛ فهم أغنى وأفضل منهم، لكنَّها أصرّتْ دونَ حتّى أنْ تعرفَ ماهية

دافع إصرارها، ولأجلها نزلتْ أخيها عن رغبتهِ وباركَ زواجها على مَضضٍ.

مَرّتْ الأيَّام وحملتْ حياة بطفلتها الأُولى، أسمتها باسمٍ أعجميٍ أعجبها حينَ سمعتهُ من إحداهُنَّ، سألتها عن معناه، فأجابتها بأنَّ معناهُ هو إشراق الهداية.

ظَلّتْ تُكافحُ مع زوجها المُتواكل حتّى أنجبتْ طفليها الآخرَين، أحمد ومحمود، لتُصبحَ عائلتها الصغيرة مكوّنة من خمسةِ أفراد، هي وأشرف، ونورشان وعمرو ومُصطفى.

رضيتْ بشظفِ العَيشِ مع أشرف، وضِيقِ الحال الذي أوهنَ أجساد براعمها الصِغار.

فتحتْ معهُ أمر السفر خارج البلاد؛ كي يأتي لهم بما يقتاتونَ به، فأبناء إخوتهِ يعملونَ هُناكَ وقد أضحوا من الأغنياء، كما أنَّ إخوتها طِيلة حياتهم يعملونَ هُناكَ لذا لا يحتاجونَ إلى أحد.

رفضَ السفر وأرادَ أنْ يُنجبها أطفال آخرين لكنَّها أبتْ؛ فكيفَ تحملُ بعد أنْ أنجبتْ ثلاثة براعم لا تَقوى على تأسيسهم حتّى بدنيًا، فهُم يأكلون وجبة واحدة طِيلة اليوم، ورُّبما لم يجدوها فذهبوا لبيتِ جدّهم لأُمّهم كي يقتاتوا، بينما هو يأكل ما يحلو لهُ عندَ إخوتهِ ثُمَّ يأتي ليُفرِغَ طاقتهُ بجسدِها وينام، وهكذا يَفنى العُمر.

كانتْ تستعير من جاراتها بعض الأعشاب، لتقومَ بغليها ومن ثَمَّ تضع بها بعض كُسر الخُبز، لتُقدّمها لبراعمها كَوجبةٍ تَسُدّ بِها رَمقهم.

مَرّتْ ثماني سنوات على زواجها، فأضحتْ نورشان ذاتْ ستةِ أعوام، بينما عمرو أربعة أعوام، وأخيرًا مُصطفى عامين، وهُنا بدأتْ تظهر في البيتِ أشياء غريبة؛ إذ كانتْ نورشان تسمعُ صوتًا يُناديها من تحتِ الأرضِ حينَ تذهب للنوم، ظلّتْ هكذا حتّى تطورَ الأمر فأضحى الصوت مسموعًا لدى أخويها اللذَينِ ينامانِ بجوارها، بذاتِ الغُرفة التي ينام بها أبيها وأُمّها.

لـــم تُخبـــر أحـــدًا لشـــدّةِ خوفهـــا، لكنَّهـــا كانـــتْ تخشـــى الليـــل وبخاصّـــةٍ وقـــت النـــوم، فـــذاكَ الصـــوت كـــانَ ينتظرهـــا حتّـــى تـــأتي لتنـــام فتســـمعهُ يُناديهـــا بهمـــسٍ يُرجِـــفُ قلبهـــا الصغير.

أخبـــرتْ أُمّهـــا ذاتَ مـــرّة إلَّا أنَّهـــا لـــم تهـــتم، وأمرتهـــا بقـــراءةِ المُعـــوذتينِ التـــي حفّظتهـــا إيَّاهُمـــا ســـابقًا، فعلـــتْ مـــا أمرتهـــا بـــهِ، لكـــنَّ الصـــوتَ لـــم يختفـــي، اِعتـــادتْ عليـــهِ فلـــم تَعُـــد تخشاه.

تمضـــي الأيَّـــام ويكبُـــر البـــراعم، بينمـــا أشـــرف علـــى حالـــهِ الـــذي لا يتغيّـــر، وأخلاقـــهِ الدنيئـــة، التـــي يُخفيهـــا عـــن النّـــاس ويُظهرها لحياة وبراعمها.

ذهبَ الأبناء الثلاثة إلى بيتِ جدّهم ذاتَ نهار، مرحوا بعض الوقت مع جدّتهم ثُمَّ عادوا، طرقوا الباب، فتحتْ لهم حياة، ثُمَّ دلفوا غُرفتهم، والتي هي الغُرفة الوحيدة بالبيتِ الضيّق الذي يعيشون فيه، اِنهالَ عليهم أشرف بالسُبابِ حتّى بَكوا جميعًا، أخذتْ حياة تجبر خاطرهم حتّى رضوا، لكنَّ أشرفَ لم يَرضى إلَّا أنْ يُقبِّلَها أمامهم، بل ويُكملَ ما كانَ يفعلهُ بجسدِها حالَ غيابهم، زجرتهُ حياة ولملمتْ ما شَّقهُ من ثوبها، ثُمَّ أخذتْ براعمها وجلستْ بهم في صالةِ البيت.

لم تستطع حياة العَيشَ معهُ بعد أنْ ساءتْ أخلاقهُ أو قُلْ ظهر على حقيقته، فلسانه لا ينطق إلَّا بأقبحِ الألفاظ،

وحياءهُ معدوم لا وجودَ له، حتّى أنَّهُ كانَ يُحدّثها بأحاديث خاصّة بينَ الرَجُل وامرأته أمامَ ابنتها البالغة من العُمر تسع سنوات، حاولتْ حياة أنْ تمنعهُ عن أفعالهِ الدنيئة، وألفاظهِ البذيئة إلَّا أنَّهُ لم يمتنع، فطلبتْ منهُ الطلاق.

رفضَ طلاقها وأخذَ ذهبها وباعهُ، ثُمَّ اِشترى بثمنهِ عقدًا للعملِ في إحدى الدول العربية، وسافرَ لترتاحَ من وجودهِ حياة، ويهنأ الأولاد في غيابه، فغيابهِ عن البيت جعلهم يطمئنونَ بعض الشيء.

كَبُرتْ نورشان وها هي قد أكملتْ عامها الرابع عشر، لتزدان بجمالِ حيائها ونُضجِ أنوثتها، وسمّو أخلاقها، وحُسنِ

سيرتها، ونُبلها وشهامتها، ممّا جعلَ أبناء المدينة يتسابقونَ في طلبِ الزواجِ منها، إلَّا أنَّها رفضتْ الزواج؛ خوفًا من أنْ تكونَ تِكرارًا لأُمّها المظلومة من أبيها خالي الرجولة.

ظلَّ عمرو يجتهد في دراستهِ حتّى اِحتلَّ المركز الأوّل على مُستوى المدينة في الشهادةِ الإبتدائية، بينما مُصطفى حازَ مركزًا مُتقدّمًا في الصفِّ الخامس الإبتدائي، ولم ينسيا التقدُّم في حفظِ القرآن العظيم بجانبِ دراستهما هُم ونورشان.

رغم مرور بضعة أعوامٍ على سفرِ أشرف إلَّا أنَّهُ لم يأتِ ولو اِجازة، ومع ذلكَ لم يُرسل لها ما يكفيها من النقود،

فما يُرسلهُ بالكادِ يكفي دفع الفواتير الشهرية، كَالغاز والكهرُباء والماء، أمَّا الطعام والتعليم والمرض وغيرهِ من الأساسيات، فكانتْ أُمّها تُساعدها فيهِ من معاشِ أبيها _رَحِمَهُ اللَّه_ وبجانبِ هذهِ المصاعب فقد تخلّى إخوة زوجها عن أبناءِ أخيهم، بل وراحوا ليُلّسنوا عليهم؛ فقط لأنَّهم تفوّقوا على أبنائهم في الخُلقِ والأخلاق، والتعليمِ والقرآن الكريم.

نجحتْ نورشان بتفوّقٍ في الشهادةِ الإعدادية، ودلفتْ الثانويةَ العامّة بمجموعٍ كبير، ممّا أثارَ الغَيرةَ في نفوسِ إخوة أبيها، فراحوا يَدّسونَ لها الدسائسَ عندَ أبيها الذي حرمها الأُبوّةَ

مـن قبـل، حتّـى أنَّـهُ قـد عـادَ مـن سـفرهِ الغيـر مُفيد، ليُنَّغصَ على حياة وأبنائها حياتهم.

اِتفـــقَ مـــع إخوتـــهِ ليُزوّجـــو نورشـــان لشـــخصٍ لا يُوجـــد بينهـــا وبينـــهُ أدنـــى تكـــافؤ، فقـــط ليقطعـــوا عليهـــا مســـيرتها التعليميـــة، ومُحاولتهـــا فـــي عمـــلِ شـــيءٍ مـــن شـــأنهِ أنْ يَرقـــى بهـــا، بعيـــدًا عـــن المُســـتنقع الـــذي اِبتلاهـــا اللَّهُ بـــهِ فكانـــتْ البيئـــة التـــي وُضِـــعتْ فيها.

حـــــاولوا وحـــــاولوا وحـــــاولوا، لكـــــنَّ مُحـــاولاتهم بـــاءتْ بالفشـــل، فقـــد تصّـــدتْ لهـــم حيـــاة، وكســـرتْ شـــوكتهم، وأفســـدتْ علـــيهم خُططهم.

زجـــرَ الإخـــوة أخـــيهم أشـــرف، ممّـــا جعلـــهُ يتوّعـــد حيـــاة وأبنائهـــا، خصوصًـــا نورشـــان

التي وعدها بأنَّ عامها الدراسي هذا سيكون آخر عهدها بالتعليم، ثُمَّ عادَ إلى حيثُ جاء.

وصلتْ نورشان للصفِّ الثاني من الثانويةِ العامّة، وهُنا كانَ الإبتلاء؛ حيثُ قامَ أشرف بعملٍ سِحرٍ يُفقدها صحتها وعافيتها، ومن ثَمَّ لا تَقوى على طلبِ العِلم.

أصابها السِّحر فأتعبَ جهازها الهضمي حتّى أنَّها لم تَعُد تأكل كما كانتْ سابقًا، ظَلّتْ هكذا حتّى فقدتْ جسدها في وقتٍ وجيز، رأها مُعلّميها فأصابهم الذهول وسألوها عن جسدها المفقود، لكنَّها لم تستطع إجابتهم!

لم تَكُن تعلم الزهرة أنَّ أباها هو مَن سيتسبب في ذبولها، بل وقطفها من بُستانِ الحياة، حتّى هاتفهم بعد أنْ كادتْ رَّوح نورشان تخرج من جسدها، ليُخبرهم أنَّها قد سُحِرَتْ وسيتولّى هو فَك سّحرها، فقد تعلّمَ كيفَ يفُك الأسحار من أحدِ شيوخِ الطُرق الصوفية (الضلالية).

زادَ ألمها بعد ما أخبرهم أشرف، ظَلّتْ تذهب من طبيبٍ إلى طبيبٍ حتّى سئمتْ زيارة الأطبّاء، فكلّهم قد أجمعوا على أنَّها بخيرٍ ولا عِلَّةَ فيها، وهي تُشوَى كَالعجلِ الحنيذِ دونَ أنْ تصدرَ عنها رائحة الشِواء، نعم، تُشوَى بالسِّحرِ الذي أذابَ لحمها أمامَ عينها، تُشوَى

بنـــارٍ لا دُخـــانَ لهـــا، تُشـــوَى بلهـــبٍ لا جمـــرَ فيه.

جاهـــدتْ نورشـــان حتّـــى أكملـــتْ تعليمهـــا الثـــانوي بأعجوبـــة، فقـــد شَـــهِدَ مُعلّميهـــا وصـــاحباتها، وزُملائهـــا وكـــذا العـــاملينَ بالمدرســـة، جمـــيعهم شَـــهِدَ التغيُّـــر الـــذي أصـــابها، ووزنهـــا المفقـــود، وضـــعفها حـــدَّ الـــوهن بعـــد أنْ كانـــتْ فتيّـــة قويـــة، ذَبُلَـــتْ الزهرة بفِعلِ فاعل، لكنَّ الأمرَ كُلّهُ للّهِ.

حـــاولَ أُمّهـــا وإخوتهـــا وأخوالهـــا مُســـاعدتها لكـــنْ دونَ جـــدوى، فكيـــفَ سيُســـاعدونها فيمـــا حَـــدَثَ لهـــا مـــن غـــدر، ومـــا فُعِـــلَ بهـــا مـــن سّـــحر، ومـــا طالهـــا مـــن أذى دونَ وجـــهِ حقّ.

اِقتــرحَ أحــد أخوالهــا الــذهابَ بِهــا إلــى أحــدِ الشــيوخِ بإحــدى القُــرى بوســطِ الصــعيد، بعــد أنْ سَــمِعَ عــن خِبرتــهِ فــي فَــكِّ الأســحار، لكنَّهــا أبــتْ؛ خوفًــا علــى شــرفها وطهارتهــا من أنْ يُدّنسها دّجالٌ من الدجاجلة.

فوّضــتْ أمرهــا لخالقهــا، وأقامــتْ علــى قــراءةِ القــرآن العظــيم حتّــى أذهــبَ اللَّهُ عنهــا ما كانتْ تَجِدْ.

تبــرأتْ حيــاة وأبنائهــا مــن أشــرف أمــامَ اللَّه، ثُــمَّ أكملــوا حيــاتهم بدونــه، بعــدما دعــوهُ للعــودةِ عــن طريــقِ الشــرّ إلَّا أنَّــهُ رفــض، بينمــا إخوتــهِ يُفــاخرونَ بقُدرتــهِ علــى فَــكِّ الأســحار، بــل ويُــدافعونَ عنــهُ إنْ نعتــهُ أحدهم بالسائرِ على طريقِ الضلال.

السائرُ على خُطى الشَّيطان

أخـــذَ المِجرَفـــة وراحَ ليدُّســـها، فمـــا وجـــدَ غيـــر بـــؤيرة، ألقاهـــا بِهـــا وعـــادَ ليتأكـــد أنَّ الجُثّـــةَ التـــي قبرهـــا مخفيـــةٌ عـــن الأنظـــار، ثُـــمَّ عـــادَ لبيتـــهِ لاهثًـــا يتصـــبَّبُ عرقًـــا، جلـــسَ بغُرفتهـــا التـــي كانـــتْ تســـكنها حتّـــى ســـويعاتٍ فائتـــة، نَظَـــرَ لصـــورتها الموضـــوعة علـــى المِنضـــدةِ الصـــغيرة بجانـــبِ ســـريرها، أمســـكها وأخـــذَ يبكـــي علـــى مـــا فعلـــهُ بهـــا حتّـــى رنَّ هاتفهـــا المحمـــول، تفحصّـــهُ فوجـــدَ يحيـــى قـــد اِتصـــلَ بهـــا عِـــدّةَ مـــرّات، وضـــعَ الهـــاتف جانبًـــا حتّـــى يُفكّـــر فيمـــا ســـيقولهُ لـــه، لحظـــاتٍ وشـــعرَ بـــدوارٍ أفقـــدهُ توازنـــهُ فسَـــقَطَ مَغشيًا عليه.

لم يَطمئنّ يحيى لعدم رَدّ نبيلة على اِتصاله، حاولَ الإتصال بأبيها لكنَّ هاتفهُ مُغلق، هاتفَ أُمّهُ وطلبَ منها أنْ تذهبَ لزيارةِ نبيلة ليطمئنَّ قلبهُ عليها.

وبعد نصفِ ساعة كانتْ أُمّ يحيى قد وصلتْ هي وأخيهِ هيثم إلى بيتِ نبيلة، أخذا يطرقانِ الباب، لكنَّ أحدًا لم يفتح لهما، شَدَّدا الطرق ولكنْ دونَ جدوى، خرجا من البيتِ وذهبَ هيثم إلى أمن التجمُّع السكني، بينما أُمّهُ تنتظر في حديقة البيت.

لحظاتٍ وكانَ بعض أفراد الأمن قد أتوا، حاولوا فتح الباب لكنَّهم لم يُفلِحوا، فقاموا بكسرهِ بُغية الإطمئنان على نبيلة ووالدها المُهندس حسين.

كسروا الباب ودلفَ الجميع، أسرعتْ أُمّ يحيى لغُرفةِ نبيلة، فصاحتْ حينَ لم تجدْها، ووجدتْ أباها ساقطًا على الأرضِ فاقدًا وعيه.

حملهُ هيثم وذهبَ بهِ إلى المُستشفى بسيارتهِ ولم ينتظر الإسعاف، بلّغَ أفراد الأمن مُدير أمن التجمُّع السكني، فجاء ليُحقِّقَ في الأمر.

أُدخِل المُهندس حسين العناية الفائقة؛ إذ داهمتهُ غيبوبة السُكري، وظَلَّ على إثرها غائبًا عن الوعي عِدّةَ أيَّام.

كانَ مُدير الأمن _الخاصّ بالتجمُّع السكني_ قد حقَّقَ في الأمرِ فلم يَجدْ أدنى شُبهة جنائية، غير أنَّ نبيلة رُبما تكون قد سافرتْ لوالدتها بمُحافظةِ الغربية.

هاتفتْ أُمّ يحيى رانيا والدة نبيلة، وسألتها عن ما إذا كانتْ نبيلة قد زارتها أم لا، فأجابتها رانيا بالنفي، وسألتْ أُمّ يحيى عن ابنتها الغائبة، وأينَ ذهبتْ، وما الذي حَدَثَ لها؟

لم تستطع أُمّ يحيى أنْ تُخفي حُزنها على غيابِ نبيلة فانهارت باكية لرانيا عبرَ الهاتف، فما كانَ من رانيا إلَّا أنَّها إستأذنتْ زوجها كريم في السفرِ إلى القاهرة؛ للإطمئنانِ على مصير ابنتها الوحيدة.

لم يدعها تذهب بمُفردها، فجاء معها للبحثِ عن نبيلة التي يُعِدَّها ابنته، وليستْ ابنةَ امرأتهِ رانيا.

بحثـــوا عنهـــا عنـــدَ صـــاحباتها، وعنـــدَ الأقربـــاء، والجيـــران القُـــدامى فـــي مِنطقـــة فيصـــل، ولكـــنَّهم لـــم يُوّفقـــوا فـــي العثـــورِ عليهـــا، قـــاموا بعمـــلِ مَحْضَـــرٍ بقســـمِ شُـــرطة الشـــيخ زايـــد، يُفيـــد بتغيّبُهـــا عـــن البيـــتِ مُنـــذُ أيَّـــام، قـــامَ ضُـــباط الشـــرطة بعمـــلِ التحرّيـــاتِ اللازمـــة بخصـــوصِ الواقعـــة لكـــنَّهم لـــم يجـــدوا لهـــا أدنـــى أثـــر، ففضّـــلوا اِنتظـــار المُهنـــدس حســـين حتّـــى يَفيـــقَ مـــن غيبوبتـــهِ ويسألوهُ عنها.

مَـــرَّ أســـبوع وقـــد جـــاء يحيـــى بعـــد أنْ أخـــذَ إجـــازة مـــن عملـــهِ بإحـــدى دول الخلـــيج العربـــي، لـــيعلمَ مـــا الـــذي جـــرى لحبيبتـــهِ وزوجهِ نبيلة، التي لم يَدخُل بِها بعد.

فـــاقَ حســـين مـــن الغيبوبـــة، وخـــرجَ مـــن العنايـــة الفائقـــة، ليُقـــيمَ بغُرفـــةٍ أُخـــرى، بعـــد أنْ أَمَـــرَ الطبيـــب المُعـــالِج ببقائـــهِ تحـــت المُلاحظة.

عَلِـــمَ الضـــابط ســـعيد بتحسُّـــنِ حالتـــهِ فجـــاء يسأله.

عَـــرَّفَ بنفســـهِ ثُـــمَّ أردف: حمـــدًا للَّهِ علـــى سلامتك بشمُهندس.

حسين: سَلّمكَ اللَّهُ حضرة الضابط.

الضـــابط ســـعيد: أودُّ اِخبـــاركَ بـــأنَّ الـــدكتورة نبيلـــة ابنتـــك لـــم يُعثـــر لهـــا علـــى أثـــر، ولا نعلـــم إنْ كانـــتْ مُتغيّبـــة أم حَـــدَثَ لهـــا مكـــروه، لا قَـــدّرَ اللَّه، وقـــد قامـــتْ طليقتُـــكَ الســـيدة رانيـــا بعمـــلِ مَحْضَـــرٍ يُفيـــد بتغيّبُهـــا،

وعلى أساسهِ نُجري تحرّياتنا ونُحقّق في الأمر.

أخذَ حسين يبكي ويُنادي على نبيلة في حالةٍ يُرثى لها، حتّى جاء الطبيب المُعالِج، وطلبَ من الضابط سعيد

بألَّا يُكثِرَ عليه.

اِستجابَ الضابط سعيد لطلبِ الطبيب، ثُمَّ سألهُ عن آخرِ مرّة رأى فيها نبيلة.

أجابَ حسين بأنَّها ذهبتْ إلى صيدليتها كَالعادة.

سألهُ الضابط سعيد عن ما إذا كانتْ قد أخبرتهُ بشيءٍ آخر.

أجابَ حسين بالنفي.

سألهُ الضابط سعيد: هل الدكتورة نبيلة مُعتادة ترك هاتفها بالبيتِ قبلَ الخروج منه؟

تلعثمَ حسين قبلَ أنْ يُجيب: لم أُركز مع هاتفها كثيرًا حضرة الضابط، ثُمَّ عادَ ليبكي من جديد.

أغلقَ الضابط سعيد التحقيق وغادرَ المُستشفى.

مَرّت الأيَّام وعادَ المُهندس حسين لعملهِ بعدَ فترةِ النقاهة التي قضاها، وعادتْ رانيا مع كريم زوجها إلى بيتهما بالغربية، بينما يحيى محزون القلب لم يستطع الذهاب إلى عملهِ فمَدَّ اِجازته.

شعر الضابط سعيد بأنَّ حُسينًا رُبما يكون لهُ دخل في اِختفاءِ نبيلة، لكنَّهُ لم

يستطع تحديد ماهية دورهُ فيما حَدَثَ لها، فظَلَّ يبحث عن طرفِ خيطٍ يُفيدهُ في التحقيق، حتّى ساقَ القدر إليهِ عِمارة، القائم على شؤون مكتب أبيها بالشركة التي يعمل بها.

اِستأذنَ عِمارة في الدخول، أُذِنَ لهُ فدلف، عَرَّفَ بنفسه، رَحَّبَ بهِ الضابط سعيد، وطلب

لهُ مشروب الشاي.

أخبرهُ عِمارة بأنَّهُ قد عَلِمَ بإختفاءِ الدكتورة نبيلة، لذا جاء ليُدلي برأيه، رُّبما يُفيد ولو بعض الشيء.

أخبرهُ أنَّهُ قد شاهدَ نبيلة تُهددُ أباها بأمرِ قطعةِ الأرض التي غصبها صاحبها، أخذَ حسين يُطمئنها بأنَّهُ سيُنهي أمرها

ويردّها لصاحبها، لكنَّها لم تهدأ وتابعتْ:

يبدو أنَّكَ نسيتَ كيفَ ربّتني أُمّي أبي!

لكنْ لا عليك، ستعلمُ أنَّها قامتْ بواجبها نحوي على أكملِ وجه، ليسَ كأنتَ أبي، ستعلم حينَ أُبلِغُ الشرطةَ بما تفعلهُ سرًّا تحتَ مُسمّاكَ الوظيفي، وقد أمهلتُكَ كثيرًا أبي ونهيتكَ ولكنَّكَ لا تنتهي، إذًا لتُحاسَب على فِعالكَ التي عَمِلتها بمحض إرادتك.

ثُمَّ أكملَ عِمارة: كانَ هذا قبلَ أنْ تختفي بأسبوع، وكانتْ قد وعدتْ ابنتي فاطمة بالعملِ معها خلالِ هذا الشهر، لكنَّ القدرَ لم يُمهلها لتُوفي بوعدها، ثُمَّ بَكى.

لم يسألهُ الضابط سعيد أيّة أسئلة، فكُلّ ما يَشغل بالهُ الآن هو البحث والتحرّي أكثر عن المهندس حسين.

عَلِمَ حسين ذات يوم أنَّ الضابط سعيد قد تحرّى عنهُ في عملهِ القديم، ولا زالَ يُجري تحرّياتٍ عنهُ في مُحيطِ عملهِ الحالي، ومحلّ إقامتهِ السابق والحالي، بل واللاحق الذي سينقل إليهِ إقامتهُ بعدَ يومان.

فَكَّرَ حسين كيفَ ينفي شُبهة اِشتراكهِ في إخفاءِ نبيلة، فَكَّرَ وفَكَّرَ وفَكَّر حتّى هداهُ تفكيرهُ الشَّيطاني لعملٍ خبيث.

قامَ بشراءِ جُثّةٍ لفتاةٍ في مِثلِ عُمر ابنته، عن طريقِ أحد معارفهِ بإحدى المشرحات، ثُمَّ وضعها على سريرِ نبيلة

وفي غُرفتها، بعد أنْ أخبرَ أمن التجمُّع السكني بالعثورِ عليها، وبعدها قامَ بإشعالِ النار في غُرفتهِ المُجاورة للمطبخ، ثُمَّ بغُرفةِ نبيلة، وأغلقَ الأبواب والنوافذ بإحكامٍ حتّى غدتْ غُرفة نبيلة كُتلة من اللهب.

حينها فتحَ النوافذ ليخرجَ منها مُستصغرِ الشرر، وفتحَ الأبواب وأخذَ يستغيث علَّ أحدهم ينجده.

هَبَّ أفراد الأمن في نجدته، وحاولوا مِرارًا اِطفاء الحريق الذي كانَ قد اِلتهمَ الطابق الأرضي، لكنَّ النارَ تزداد اِشتعالًا، فقاموا بطلبِ المطافئ، وبلّغوا قسم الشرطة بالواقعة، كما طلبوا الإسعاف.

أتتْ المطافئ فأطفأتْ ما استطاعتْ إطفاءهُ بعد أنْ أضحى البيت رُمادًا، وتَمَّ نقل الجُثّة المُحترقة إلى المُستشفى عن طريقِ الإسعاف، بينما حسين قد نقلهُ أحد السُّكان بسيارتهِ الخاصّة للمُستشفى.

حَضَرَ الضابط سعيد وأثبتَ الواقعة بمحضرٍ رسمي، وسَمِعَ من الشهود ثُمَّ ذهبَ إلى المُستشفى.

خَرَجَ الطبيب ليُخبرَ حسين المُتّكئ على أحد المُمرضين أنَّ ابنتهُ قد فارقتْ الحياة بعد أنْ تفّحمتْ جُثّتها، ولم يتبَّقى منها سوى بعض الرُفات.

انهارَ حسين من البُكاء، ثُمَّ طلبَ من الطبيب سُرعة الإجراءات بخصوصِ

تصـــريح الـــدفن، كـــي يُـــواري رُفـــات نبيلـــة التُراب.

اِنقضـــتْ بضـــع ســـاعاتٍ وقـــد وارى حســـين ابنتهُ (المُزوّرة) التُراب.

لـم يَكُـن يعلـم حسـين أنَّـهُ بفِعلتـهِ النكـراء قـد قـــامَ بفـــتحِ ملـــفِ التحقيقـــاتِ مـــن جديـــد، فالضـــابط ســـعيد قـــد اِســـتدعاهُ عِـــدّةَ مـــرّاتٍ لســـؤالهِ عـــن الكيفيـــةِ التـــي عثـــرَ بهـــا علـــى الفقيـــدة، لكنَّـــهُ اِســـتطاعَ الـــتمّلُص مـــن الأســـئلة بطريقـــةٍ أخبـــرهُ بهـــا مُحاميـــهِ العتيق.

مَـرَّ عـامٌ علـى غلـقِ قضـية نبيلـة، وقـد بـاعَ أبيهـــا قطعـــة أرضٍ يمتلكهـــا لإحـــدى الشـــركات العقاريـــة، بأضـــعافِ ثمنهـــا، نَظـــرًا

لموقعها المُتميّز والذي جعل الشركة تُسارع في شرائها.

بدأتْ الشركة في تنفيذِ بعض مشروعاتها على الأرضِ فورَ اِستلامها، حتّى إذا ما وصلوا لبعض العُمق وجدوا رُفاتًا قد تحلل، يبدو عليهِ أنَّهُ لجُثّةِ فتاة، أخبروا قسم الشرطة التابعة لهُ الأرض.

جاءتْ قوات الشرطة بِصُحبةِ فريقٍ من البحثِ الجنائي، تَمَّ عمل اللازم ثُمَّ نُقلتْ الرُفات إلى الطب الشرعي، لفحصها ومن ثَمَّ بَيان سبب الوفاة.

عَلِمَ حسين بالواقعة فجهَّزَ أوراقهُ للسفرِ خارج البلاد، لكنَّ نتيجة الطب الشرعي قد أعاقتْ سفرهُ بعد ظهورها، وبَيان أنَّ الرُفات لابنتهِ نبيلة، ويعود سبب الوفاة

إلـــى كســـرٍ بقـــاعِ الجُمجُمـــة أدى لنزيـــفٍ داخلي أفقدها حياتها.

كمـــا تَـــمَّ العثـــور علـــى مِفتـــاحٍ لإحـــدى أدراج مكتـــب حســـين، قـــد ســـقطَ منـــهُ وهـــو يُواريهـــا الثرى، تَبيّنَ هذا بعد رفع بصماته.

وقـــد اِســـتدعتْ النيابـــة العامّـــة حســـين للمثـــولِ أمامهـــا، ثُـــمَّ وُجِهَـــتْ إليـــهِ تُهمـــة قتـــل ابنتـــهِ نبيلـــة، حـــاولَ نفـــي مـــا نُسِـــبَ إليـــه، لكنَّـــهُ انهـــار واعتـــرفَ بعـــدما رأى المِفتـــاح الذي يبحث عنهُ مُنذُ عام.

ثُـــمَّ اعتـــرفَ بالواقعـــة، وأنَّـــهُ قـــد دفعهـــا بقـــوّةٍ أثنـــاء مشـــادّة كلاميـــة بينهمـــا، فارتطمـــتْ رأســـها بالحـــائط وانفجـــرَ الـــدم منهـــا، حـــاولَ إنقاذهـــا لكنَّهـــا لفظـــتْ أنفاســـها الأخيـــرة داخـــل الســـيارة، وقبـــلَ أنْ يصـــلَ بهـــا إلـــى

المُستشفى، فما كانَ منهُ إلَّا أنْ قبرها في أقربِ مكانٍ من أراضيهِ التي يمتلكها، فكانتْ قطعة الأرض التي عُثر عليها بها.

أمَّا عن الجُثّةِ المحروقة، فقد اِعترفَ بأنَّهُ قد فعلَ هذهِ الفكرة بُناءًا على نصيحةِ صاحبهِ يعقوب، وهو أيضًا مَن يَسَّرَ لهُ أمرها، سألوهُ عن محلّ إقامتهِ فأخبرهم.

ذهبوا إلى حيثُ أخبرهم حسين عن محلِّ إقامةِ يعقوب لكنَّهم لم يجدوه، فقد سافرَ مُنذُ شهرين إلى إحدى الدول الأوروبية، بعدما عَلِمَ بفتح ملف التحقيقات ثانيةً.

كما اِعترفَ حسين بالأعمالِ السيئةِ التي كانَ يفعلها، من تقاضي الرِشوة،

وغيرها من قضايا الفساد، وهذا ما سَبَّبَ الخِلاف بينهُ وبينَ نبيلة، بل وكانَ سببًا في وفاتها.

اِستأذنَ حسين في الحصولِ على المِفتاح، وفتح الدرج الذي يحوي ما يُدينهُ من ملفاتٍ بمكتبه.

تَمَّتْ إحالة أوراق حسين إلى فضيلةِ المُفتي بعد ثبوت الأدلة ضده، بالإضافةِ لإعترافاته.

دُميةُ زوجي

مـــي ألـــم أقُـــل لـــكِ مِـــرارًا أنَّ يـــومَ الجُمعـــةِ هـــو يومُ بياتنا مع أُمّي؟

مي بصوتٍ مُنخفض: بلى سمير.

سمير في غضبٍ: إذًا عَلَامَ التأخير؟

مي: حسنًا سأعُدّ الحقيبة في دقائق.

راحـــتْ لتُعِـــدَّ الحقيبـــة بينمـــا ســـمير يُهـــاتفُ أُمّه.

أعـــدَّتْ الحقيبـــة وذهبـــتْ بصُـــحبةِ ســـمير إلـــى بيتِ أُمّهِ في الشارع المُجاور.

رحَّبـــتْ بهمـــا الأُمّ، ودعتهمـــا لتنـــاولِ الطعـــام الـــذي أعدَّتـــهُ لهمـــا خِصيصًـــا، ثُـــمَّ أشـــارتْ لهمـــا علـــى غُرفتهمـــا، وأخبرتهمـــا بـــأنَّ المُفاجأة تنتظرهما بالداخل.

تناولا الطعام بسُرعة، ثُمَّ دلفا بعد ما اِستأذنا الأُمّ، ليُفاجأ؛ فقد زيّنتْ لهما الغُرفة، ووضعتْ بها الشموع الحمراء، ونثرتْ وردًا أحمرًا على الأرضيةِ والسرير، كما أشعلتْ بخورًا زكيّ الرائحة، ولم تَنسَ وضع ضوءًا خافتًا لتُكمِل لهما الرومانسية.

أمسكَ سمير بيدِ زوجهِ وطبعها عليها قُبلةً حانية، وأخذَ يُحدّثها بأعسلِ الكلام حتّى لانتْ له، فردَّتْ لهُ القُبلة ولكنْ بينَ عينيه.

مَرَّ وقتٌ يسير وقطعَ السكون صوت سمير وهو ينهر مي، حتّى أنَّ الأُمّ خرجتْ من غُرفتها، وطرقتْ بابهما لتعلمَ ما الذي يَحدُث؟

خَـرَجَ سـمير مُتـذمِرًا يسـتر جسـدهُ بقمـيصٍ اِرتـداهُ علـى عُجالـة، بينمـا مـي تسـتتر فـي مـلاءةِ السـرير، ودمعهـا يـذرف دونَ أنْ تُصدرَ صوتًا.

اِقتربـت منهـا الأُمّ واحتضـنتها لتُطمئنهـا، ثُمَّ خرجتْ وتركتها.

جلسـتْ أمـامَ ابنهـا وسـألتهُ عـن سـببِ دمـع مي وصوتهِ العالي؟

تنّهدَ قبلَ أنْ يُجيبها: لا شيء أُمّي.

ربتـتْ علـى يـدهِ بحنـانٍ قبـلَ أنْ تُضـيف: كيـفَ لا شـيء، ودمـع مـي لا يتوّقـف، وغضبك لم تستطع إخفاءه.

نَظَـرَ إليهـا فـرأتْ عَبراتـهِ وقـد تسـاقطتْ، احتضـنتهُ فأخـذَ يبكـي كَطفـلٍ لـم يَحصـل على ما أراد.

ثُـــمَّ أخبرهـــا أنَّ مـــي لا ترغـــب بـــه، ورُّبمـــا غُصِبَتْ على الزواجِ منه.

نَظَـــرَتْ إليـــهِ الأُمّ بِفَـــمٍ فـــاغر، وســـألته: مَـــن أوهمكَ بما تقول ولدي؟

أفعالهـــا قالـــتْ لـــي مـــا أخفـــاهُ قلبهـــا أُمّـــي، قالها بحسرةٍ بالغة.

الأُمّ: لا تَكُـــن عجـــولًا بُنـــيّ، تريّـــث بعـــض الوقـــت، فلـــم يَمضـــي علـــى زواجكمـــا ســـوى أســـابيعٍ معـــدودة، رُّبمـــا لـــم تعتـــاد طِباعـــك، رُّبما لم.....

قاطعهـــا ســـمير: لـــيسَ الأمـــرُ كمـــا تظنّـــينَ أُمّي.

الأُمّ: إذًا ماذا؟

سمير: لا أستطيعُ إخباركِ بشيءٍ خاصٍّ بيني وبينَ زوجتي أُمّي، فهي سرّي وأنا سرّها كما علّمتيني.

تبسمتْ لهُ الأُمّ قبلَ أنْ تُقبّلَ جبينهُ وتُردف: أحسنتَ ولدي، هكذا هي أخلاق الرجال، ما دامَ الأمرُ كذلكَ فلتُجالسها وتسمع منها، ولا تَنسَ أنْ تحنو عليها.

تبسمَ لها وأومأ برأسه.

دلفَ سمير ليَرى مي وقد اِغتسلتْ، واِرتدتْ ثوبًا أنيقًا وتزيّنتْ بالكُحلِ وظلال الشُفاه، بعد ما تطيّبتْ بالطِيبِ الذي يُحِبُّهُ.

لم يستطع أنْ ينبسَ ببنت شفة، اِقتربتْ منهُ وقَبّلَتْ جبينه، وأخذتْ تَنظُرُ لوجههِ

ويكأنَّها تتعرّفه، ثُمَّ قدّمتْ لهُ اِعتذارًا عن ما بدرَ منها فأشعلَ غضبه.

قَبِلَ اِعتذارها، وقدَّمَ لها اِعتذارًا عن غضبهِ منها، ثُمَّ قَبَّلها بينَ عينيها، وجلسا يتحدّثانِ فسألها: مي لِمَ قَبِلتِ الزواجَ منّي؟

تفاجأتْ بسؤالهِ لكنَّها لم تُبدي له، وقبلَ أنْ تُجيب اِستحلفها باللَّهِ أنْ تصدقهُ القول.

نَظَرَتْ إليهِ بدهشةٍ وخجل، ثُمَّ أجابته: قد رأكَ إخوتي مُناسبًا فتمَّ الزواج.

ظهرتْ علامات الدهشة على وجهِ سمير، قبلَ أنْ يسألها: ماذا؟

مي بصوتٍ يشوبهُ الخوف: قد صدقتكَ القول.

سمير بصوتٍ حزين: إذًا أنتِ لا تُحبّينني مي؟

مي وكادتْ أنْ تسقط عَبراتها: مَن قالَ لكَ هذا الكلام؟

سمير: ألهذهِ الدرجة تُحِبّينهُ وتحفظينَ لهُ قلبك؟

مي وقد ذرفتْ عيناها: سمير.....

قاطعها: دموعكِ وصوتكِ المُرتجف أجاباني.

مي: سمير باللَّهِ عليكَ لا تظلمني.

سمير وقد ذرفَ دمعه: وما ذنبي أنا مي؟

وما هي جِنايتي؟

قد عَلِمتُ بخبرِ قلبكِ مُنذُ الليلةَ الأُولى التي جمعني اللَّهُ بكِ فيها، لم تستطيعي أنْ تُمّكنينني من نفسكِ برضاكِ، لكنَّهُ الخوفَ من إخوتكِ جعلكِ تُمثّلينَ رغبتكِ بي.

مي: سمير.....

قاطعها: لا تقولي شيئًا بل أنا مَن سأقول، أتعلمينَ أنَّني أحببتُكِ مُنذُ زمنٍ لذا اِخترتكِ دونَ غيركِ من الفتيات، ولأنَّني قد وقعتُ في الحُبّ، لذا لن أضغطَ عليكِ بعدَ الآن، وسأتركِ بعضَ الوقتِ لتُفكّرين، وما تُريدينهُ سيحدُثُ ولن يَحدُثَ غيره، ثُمَّ ذهبَ إلى شقته، بينما هي ظلّتْ مع أُمّهِ لتأخذ وقتها في التفكير.

طرقتْ مي بابَ غُرفة حماتها، أَذِنَتْ لها بالدخول، دلفتْ وجلستْ بجانبها، ثُمَّ طلبتْ منها أنْ تُنصتَ إليها فيما تُريدُ البوحَ به، أومأتْ لها حماتها، لتشرع في سردِ ما تحفظهُ بقلبها.

حُرِمتُ الأُبوّةَ أُمّي رُقية، ولم أجدها في أحدٍ بعدَ أنْ حرمنيها أبي عمدًا، حينَ تركنا وذهبَ ولم يعود، حسابهُ على اللَّه، بعدها ظللتُ أتعلّمُ دونَ أنْ أُفكّرَ بالزواج؛ نظرًا لظروفنا وما نَحنُ فيهِ من هموم، حتّى أرسلَ اللَّهُ إليَّ أحدهم ليُشعرني بقلبي، الذي ظننتهُ غير موجود طِيلةَ عُمري، جاءنا خاطبًا وفرحتُ بهِ أيُّما فرح، وسعدتُ سعادةً لم أسعدها من قبل، لكنَّ إخوتي قد رفضوا زواجي، وكسروا

فرحتي بهِ فكُسِرَ شيءٌ ما بداخلي، فوّضتُ أمري لرَبّي وأكملتُ تعليمي، وتركتُ فكرة الزواج، لأنَّني أدرى بنفسي، وأعرفُ بقلبي، وأعلمُ أنَّني لن أستطيعَ إسعاد أحد غير الذي أسكنَ اللَّهُ حُبّهُ القلب، لذا رفضتُ الزواج، والقلوبُ بينَ أُصبعي الرحمٰن.

ثُمَّ أتانا سمير خاطبًا فوافقَ إخوتي وأُمّي دونَ أنْ يسألونني رأيي، إذ العُمرُ قد مَرَّ دونَ أنْ أشعُرَ به، ولا بُدَّ من اللحاقِ بقطارِ الزواج قبلَ أنْ يفوتني، وسمير لا ينقصهُ شيء، وكُلّ الفتيات يتمنّينه، وكُلّ العائلات ترغب في مُصاهرته، ونَحنُ كما تعلمينَ أُمّي لسنا وُجهاء، فمعنى أنَّ سمير يُفضّلني على غيري أنَّهُ يُحِبُّني،

تَمّـــتْ الخِبطـــة فـــي أســـبوعين وعقبهـــا الزواج.

قـــولي لـــي أُمّـــي رُقيـــة ءأنـــا مُخطئـــةٌ فـــي شيء؟

ثُمَّ اِنهارتْ باكية.

كفكفـــتْ حماتهـــا دمعهـــا، واحتضـــنتها، ثُـــمَّ أخبرتهـــا أنَّهـــا لـــم تُخطـــئ فـــي شـــيء، ونصـــحتها بـــأنْ تُفكّـــر بمـــا يُناســـبها الآن، بعد أنْ أضحتْ ثيّبًا لا بِكرًا.

ظلَّـــتْ مـــي تُفكّـــر حتّـــى اِهتـــدتْ للحـــلّ، وهـــو أنْ تُكمِـــلَ حياتهـــا مـــع زوجهـــا ســـمير الـــذي يُحِبُّهـــا، مُعرضـــةً عـــن فكـــرةِ الطـــلاق؛ كـــي لا تعـــودَ لإخوتهـــا ثانيـــةً بعـــدَ أنْ زوّجهـــا اللّه، وحتّـــى لا يتحـــدّث النَّـــاس عنهـــا بســـوء، إذ

لم يَمضي على زواجها سوى أسابيعٍ معدودات.

حاولتْ مي أنْ تُسكِنَ سمير قلبها بدلًا من ساكنهِ فلم تُفلح، أحبَّتهُ حُبّ العِشرة، لكنَّ قلبها مُغلقٌ على مَن فيه.

تفكّرتْ مي في عَلاقتها بسميرٍ فشعرتْ بأنَّها دُمية لا زوجة؛ حيثُ أجبرتْ نفسها على التعايُشِ مع واقعها المُقدّرَ لها، قبلَ أنْ يخلقَ الرحمٰنُ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فأضحتْ سنون عُمرها مُجرد أيَّامٍ مُتشابهات، لا غايةَ منها ولا رغبةَ فيها.

قرّرتْ أنْ تُدخلَ السرورَ على قلبِ زوجها، فزوّجتهُ بفتاةٍ خَلوقة، جميلة، نبيلة، ذات نسبٍ مُشرّف، تصغرها بثلاثةِ

أعـــوام، أي أنَّهـــا تصـــغر ســـمير بأربعـــةِ أعـــوام، وافـــقَ ســـمير بعـــدَ أنْ ألَّحـــتْ عليـــهِ؛ كـــي يُنجـــبَ منهـــا الولـــد، بعـــد أنْ حُرِمـــتْ هـــي هـــذهِ النعمـــة، وقـــد كـــان، فبعـــدَ عـــامٍ مـــن الـــزواج وضـــعتْ امـــرأة زوجهـــا تـــوأمينِ مـــن الأولاد، ليســـــعدَ قلـــــب ســـــمير وتســـــعد بسعادتهِ مي.

هُناكَ تختفي الأشياء

فتحت عيناها بصعوبةٍ لتَرى نفسها مُستلقية على الرمال، تحت أشَّعة الشَّمس الصباحية، حولها جَمعٌ غفير من الفتيانِ والفتيات، هُم يعرفونها جيّدًا لكنَّها لا تعرفهم!

نهضتْ فإذ بها ترتدي لباسها الخاصّ بالخروج، نفضتْ عنها الغُبار، وخطتْ بعض الخطوات لتُفاجأ بأنَّها على شاطئ البحر، أغراها مَشهدهُ الأخَّاذ لكنَّ شيئًا ما أخافها، تراجعتْ وأخذتْ تسأل مَن حولها لكنَّ أحدًا لم يُجبها.

أخذتْ حقيبة سفرها التي كانتْ بجوارها حالَ إِفاقتها، وهَمّتْ عائدة إلى البيت،

لكنْ لا يوجد مَخرج، فكُلَّما سَلَكَتْ طريقًا أودى بِها لداخلِ المكان لا خارجه، كما أنَّ البحرَ يُحيط بِها من جميعِ الإتجاهات.. إذًا كيفَ السبيلُ إلى الخروج؟

اِقتربتْ من إحداهُنَّ لتسألها عن ماهيةِ هذا المكان، فأخذتْ تضحك وذهبتْ، سألتْ أحدهم ففعلَ كما فَعَلتْ تلك الفتاة، تقدّمتْ من مجموعة لا تدري إنْ كانوا فتيان أم فتيات!

فظاهرهم مُتشابهٌ إلى حَدٍّ كبير، ألقتْ عليهم السلام فلم يُجيبوا، عادتْ لحقيبتها التي تركتها من لحظاتٍ فلم تَجدْها، سألتْ مَن كانوا قريبينَ منها فأخذوا يضحكون، تركتهم وراحتْ تبحث

عنها حتّى وصلتْ لحافّةِ البحر، ليُعطيها أحدهم حقيبتهُ كَأمانةٍ تحفظها لهُ إلى أنْ يأتي ويأخذها بعد دقائق.

جلستْ على الشاطئ ومعها الحقيبة، أغراها موج البحر فشردَ ذهنها لثوانٍ فلم تَجدْ الأمانة، أخذتْ تبحث عنها ولكنْ لا أثرَ لها، أتى صاحب الأمانةَ ليوبّخها وذهب.

أخذتْ تبكي على ما هي فيه، فلا هذا المكان مكانها، ولا هؤلاءِ النَّاس يُشبهونها، حتّى المَخرج لم تَجده، نَظَرَتْ إلى السماءِ ورفعتْ أكُفَّ الضراعة للّهِ ربّ العالمين، لحظاتٍ وجاءها شابٌّ وسيم ليُلهيها عن تضرعها، لكنَّها لم تنتبه له، وأخذتْ تُناجي رَبّها بأسمائهِ

الحُسنى، فتحوّل صوت الشابّ إلى ضوضاءَ مُخيفة، نَظَرَتْ إليهِ فإذ بشبحٍ مُرعب قد تمثّلَ لها.

هرولتْ من أمامهِ فوجدتهُ أمامها، وقفتْ مكانها لتَسألهُ ماذا يُريد؟

ليُجيبها بغرور: لم أنتظركِ حتّى تأتي وتسأليني، فما أُريدهُ آخُذهُ متى أردته، وأنظري حولكِ لتَري بأُمِّ عينكِ ما أخذته، حوّلتْ بصرها ثُمَّ أضافتْ: لم أرى سوى أبناءك، أليسوا كذلك؟

سَخِرَ منها قبلَ أنْ يُردف: ومَن أنتِ حتّى أُريكِ أبنائي؟

هؤلاءِ بشرٌ مِثلكِ، لكنَّهم ليسوا مِثلكِ، فقد اِختفتْ أشياءهم ولم يبحثوا عنها، غيركِ أنتِ نوال، فأنتِ تبحثينَ عن

حقيبةٍ مُجرد حقيبة اِختفتْ منك، أمَّا هُم فقد اِختفى منهم ما هو أعظم وأثمن.

أخذتْ نوال تُفكّر لكنَّ تفكيرها لم يُسعِفها، فطلبَ منها أنْ تُدّقق النظرَ فيهم، فعلتْ فراعها ما هُم فيه، أسرعتْ إليهم لتُخبرهم أنَّ الشَّيطانَ قد فتنهم وسرقَ دينهم، لكنَّهم يتضاحكونَ من حديثها، ويتراقصونَ فيما بينهم، تركتهم وحاولتْ الخروجَ من فَخِّ الشَّيطان لكنَّها لم تُفلِح، خارتْ قواها فخانتها قدماها لتسقط على الأرض، دمعها يذرف دونَ توّقُف، وقلبها يلهج بالدُعاءِ قبلَ لسانها أنْ يحفظَ اللَّهُ دينها ولا يَبتليها فيه.

فتحتْ السماء أبوابها بأمرِ رَبِّها، فهطلَ المطر، تساقطَ المطر على وجهها لتعودَ

وضـــاءتهُ مـــن جديـــد، نهضـــتْ لتَـــرى حقيبتهـــا المُختفيـــة قـــد ظهـــرتْ، ســـارتْ فوجـــدتَ مَخرجًـــا، أخـــذتْ تُهلـــل وتُكبّـــر فجاءهـــا الشـــبح ثانيـــةً ومعـــهُ ألـــوف الأشـــباح، ليُخيفهـــا لكنَّهـــا مـــا خافـــتْ، بـــل وقفـــتْ أمامـــهُ بجســـارةِ عبّـــاس، وأخـــذتْ تقـــرأ مـــا جـــالَ بخاطرهـــا مـــن آي الـــذكر الحكـــيم، فكانـــتْ آيـــة الكُرســـي، اِختفـــتْ الأشـــباح فـــي غمضـــةِ عَـــين، أخـــذتْ حقيبتهـــا وأثناء عودتها فُوجئتْ ب.....

نـــوال، نـــواااااال ابنتـــي الحبيبـــة، مـــا الـــذي رأيتيهِ في منامكِ جعلكِ تصرخينَ هكذا؟

فاقـــتْ نـــوال مـــن نومهـــا، نَظَـــرَتْ حولهـــا فـــرأتْ نفســـها فـــي غُرفتهـــا، وأُمّهـــا تحتضـــنها لتُـــذهبَ عنهـــا الـــروع، أخبـــرتْ

أُمّهـــا بخبـــرِ الجزيـــرة التـــي تختفـــي فيهـــا الأشياء.

تعجبـــتْ الأُمّ مـــن خبـــرِ تلـــكَ الجزيـــرة وعقّبتْ: حتّى الدّين يُسرق إنْ لم يُحفَظ.

مِفتاح سِرّ الحياة

خُـذهُ منّـي بـاللَّهِ عليـكَ يـا عَـمّ، فمـدينتُنا قـد اِمـتلأتْ حتّـى قَـرَّرَ الحـاكم أنَّـهُ لا إنجـابَ بعـدَ اليـوم، وللأسـفِ الشـديد قـد كانـتْ امرأتـي حـاملًا بهـذا الـذكر، ولـم أسـتطع إجهاضِـها خوفًا عليها من أنْ تَفقِدَ حياتها.

اسـتغفرُ اللَّهِ العظـيم وأتـوبُ إليـه، اسـتغفرُ اللَّهِ العظـيم وأتـوبُ إليـه، مـن أيّ المـدائنِ أنتَ يا هذا؟

مـن مدينـةِ سِـرّ الحيـاة، واسـمي فِهـر، وهـذا الولـد قـد جعلتـهُ فـي كِفالتُـكَ بعـدَ اللَّه، فلتُسمِّهِ وتُربّيه.

عجبًـا لأمـركَ فِهـر، فسِـرّ الحيـاة مدينـةٌ قـد قـرأتُ عنهـا وأنـا طفـلٌ صـغير فـي إحـدى

قصصِ الخيال، كما أنَّها لم يَكُن لها وجود على أرضِ واقعنا، ثُمَّ إنَّكَ تقولُ قد اِمتلأتْ، بماذا اِمتلأتْ؟

أجابهُ فِهر بأنَّها قد اِمتلأتْ بالأعدادِ التي حدّدها الحاكم من البشرِ والحيوان، لذا تَقَرّرَ عدم الإنجاب.

سألهُ العجوز: وماذا عن الحيوان، أمنعهم الحاكم من الإنجابِ أيضًا؟!

أجاب فِهر: قد تَمَّ ذبح ذكور الحيوان، وبقيتْ الإناث فقط.

عَمّ لم تُعرّفني على اسمك بعد.

اسمي أحمد الحَسن، ولكنْ مَن دَلَّكَ عليّ؟

اسمكَ جميلٌ كأنتَ عَمّ أحمد، لم يَدُلّني عليكَ غير هذا الولد، فطِيلة الطريق يَبكي بشدّة، خصوصًا بعدَ أنْ خرجنا من سِرّ الحياة، لكنْ حينَ نزلتُ بأرضكم واقتربتُ من بيتكَ رأيتهُ سَكَنَ وسَكت، اِبتعدتُ عن بيتكَ فعادَ يَبكي من جديد، فعَلِمتُ أنَّكَ المُراد كما أخبرتني مَنسيّة.

أحمد: ومَن تكونُ مَنسيّة؟

وبماذا أخبرتك؟

فِهر في عُجالة: المعرفة تحتاجُ لسعيٍ عَمّ أحمد، اِبحث عن مدينتنا وستجدْ إجابة ما يدورُ بذهنك، والآن أستودعكَ اللَّهُ الذي لا تضيع ودائعه.. سنظلّ في اِنتظاركَ إلى أنْ تأتينا.

دلـفَ أحمـد بيتـهُ حـامِلًا الولـدَ بـينَ ذراعيـه، ثُـمَّ وضـعهُ فـي سـريره، وأحاطـهُ بالوسـائد خشـيةَ أنْ يَقَـعَ علـى الأرض، وراحَ يبحـث لهُ عن لبنٍ يُرضعهُ إيَّاه.

مَـرَّ وقـتٌ يَسـير وعـادَ أحمـد بلـبنِ غـنمٍ ليُطعِمَ الرضيع.

اِسـتطاعَ أنْ يُطعِمَـهُ اللـبنَ بعـدَ عنـاء، حتّـى اِرتـوى الولـد ونـامَ قريـر العَـين، نَظَـرَ إليـهِ أحمـد فقبَّلـه، ثُـمَّ أخـذَ يبحـث لـهُ عـن اسـمٍ حتّى هُدِيَ إلى اسمِ منصور.

أضـحى أحمـد مشـغولًا طِيلـة اليـوم بسـاعاتهِ الأربـع وعشـرون، مـا بـينَ تغذيـة وتربيـة منصـور، غيـر الإهتمـام بنظافتـهِ والعمـل علـى راحتـه، بالإضـافةِ لتـوفيرِ الجوّ المُناسب له.

ظَـــلَّ هكـــذا حتّـــى بلـــغَ منصـــور عامـــهُ الخـــامس، وهُنـــا تـــذكّرَ أحمـــد حـــديث فِهـــر عـــن سِـــرّ الحيـــاة، فأخـــذَ يبحـــث فـــي أرشـــيفِ مكتبتـــهِ العتيقـــة عـــن مـــا يَدُلّـــهُ عليهـــا حتّـــى وجدَ مُبتغاه.

وَجَـدَ كِتابًـا قـد تغيّـرَ لونـهُ وسـالَ حِبـرُ بعـض صـفحاتهِ نَظـرًا لعتاقتـه، أخـذَ يقـرأ فيـهِ عـن سِرّ الحياة، وهل هي حقيقة أم خيال؟

فكانـــتْ المُفاجـــأة أو قُـــلْ الصـــدمةَ بالنســـبةِ لـــه؛ حيـــثُ تُعَـــدُّ سِـــرّ الحيـــاة مدينـــة خياليـــة، كانـــتْ ومـــا كانـــتْ، لا يعـــرف عنهـــا إلَّا مَـــن كـــانَ لـــهُ عَلاقـــةٌ بِهـــا، ولا يظهـــر سُـــكّانها للعامّـــة، فقـــط يظهـــرونَ لمَـــن وثقـــوا فيـــه، بعـــدها يأتمنونـــهُ أمانـــة يخشـــونَ ضـــياعها،

فإنْ كانَ أهلًا للأمانةِ نالَ خير سِرّ الحياة.

ثُمَّ تَابَعَ: ما كُتِبَ بآخرِ صفحة من الكتاب، سيكون هُناكَ مِفتاح، تُفتَح بهِ سِرّ الحياة، لتَرى وتُرَى، لكنَّ مِفتاحها ليسَ من المعدن، وإنَّما هو مِنها وهي منه، يأتي بهِ مُربّيه، الذي أخذهُ من أبيه، لتعودَ لهم السعادة، وتتغيّر عندهم العادة.

وضعَ أحمد الكتاب جانبًا وأخذَ يُفكّر حتّى هداهُ تفكيرهُ إلى أنَّ منصورَ هو المِفتاح، فما سُطِرَ بالكتابِ مُنطبقٌ عليه، لكنْ كيفَ السبيلُ إلى سِرّ الحياة؟

أخذَ يُقلّب في صفحاتِ الكتاب ثانيةً عَلَّهُ يَجدْ ما يبحث عنه، دقائقَ ووجدَ ما يُريد

في الصفحةِ الخامسة بعد المائة، تقول الحكيمة مَنسيّة: سيكون بيتهُ علامة على صدقه، فإذا اِطمأنَّ الرضيع إليه، زادَ الحِملُ عليه، فأخذَ يبحث عن السبيل، ليشفي سؤالهُ العليل، ويبلغَ بالفتى الإكليل، ولم يعلم العجوز أنَّ الفتى هو الدليل.

أغلقَ أحمد الكتاب وأعادهُ لمحلّه، ثُمَّ خرجَ من المكتبةِ ليَرى منصور جالسًا يرسمُ شيئًا ويكأنَّهُ خريطة!

اِقتربَ منهُ وسألهُ: ماذا ترسمُ يا ولدي؟

كانتْ الصدمة في إجابةِ منصور: أرسمُ سِرّ الحياة أبي أحمد.

اِتسعتْ حدقتا أحمد عن آخرهما، ثُمَّ سألهُ: وكيفَ عرفتَ سِرّ الحياة؟

أجابهُ منصور بأنَّهُ يحلُمُ بِها دائمًا، بل ويَرى نفسهُ وهو يفتحُ بوّابتها الضخمة، وشعبها يُرحّب به، ويكأنَّهُ فارسٌ مغوار.

تبسمَ لهُ أحمد ثُمَّ سألهُ: ما رأيك في أنْ نذهبَ إليها؟

تهللتْ أسارير منصور قبلَ أنْ يُضيف: أحقًّا أبي أحمد؟

أجابهُ أحمد بذاتِ البسمة: أجل ولدي، لنُحقِّقَ حُلمكَ سويًا.

أعدَّ أحمد عُدّتهُ وذهبَ بمنصور، بعدَ أنْ أغلقَ بيتهُ الذي يتوّسطُ حِجر الجبل، ثُمَّ زارَ قبر زوجهِ وابنه، قبلَ أنْ يُغادر.

سارا بُناءً على ما رسمهُ منصور، فوصلا بعد يومين، لكنَّهما لم يَجدا بوّابة المدينة، ووجدا جدارًا عظيمًا من

الصخر، ظنَّ أحمد أنَّهُ طريقٌ خاطئ، لكنَّهُ تراجعَ عن ظنّهِ حينَ رأى على ميمنةِ الجدار بؤيرة، أخذ منصور وذهبَ إليها، شَرِبَ منصور حتّى اِرتوى، أمَّا أحمد فلم يُنزل بصرهُ عن الجدار.

لحظاتٍ معدوداتٍ وتصدّعَ الجدار، فظهرتْ من خلفهِ البوّابة، فَرِحَ أحمد ونَظَرَ إلى منصور فوقفَ مشدوهًا لا ينبسُ ببنت شفة؛ إذ أنَّ منصورًا قد أصبحَ يافعًا وبدتْ عليهِ علامات النُبل والشجاعة، بينما أحمد كما هو لم يتغيّر.

عَلِمَ أحمد أنَّ ماء البؤيرة رُّبما أُلقيَ بهِ بعض السِّحر، فاحتضنَ منصور وسألهُ إنْ كانَ يشعر بشيءٍ أو لا؟

فأجابهُ منصور بأنَّهُ يشعر بالقوّة.

اِقتربا من البوّابة، طلبَ أحمد من منصور أنْ يحفرَ عليها اسمه، فَعَلَ عن طريقِ حجرٍ من الصخر، فما هي إلَّا ثوانٍ وفُتِحَتْ البوّابة.

دلفا ليُفاجأ أحمد بفِهرٍ ومعهُ جموع أهالي المدينة، تقدّمَ فِهر من منصور وأخذَ يشُمّه، ففاضتْ عيناه، أخبرَ أحمد منصور بما حَدَثَ إذ كانَ رضيعًا فألقى بنفسهِ في حضن أبيه.

سأل أحمد فِهر عن تلكَ البوئيرة، فأجابهُ بأنَّ ماءها لا يُستساغ إلَّا لفاتحِ البوّابة، حينها تطرأ عليهِ تغيُّراتٍ لم يعهدها من قبل.

تبسمَ لهُ أحمد ثُمَّ سألهُ عن عودةِ السعادة وتغيير العادة، فأخبرهُ فِهر بأنَّ

السعادة قد حَلّتْ واحتلّتْ المدينة بقدومِ مِفتاحها، وأمَّا عن تغييرِ العادة فهو ما سيفعلهُ منصور (مِفتاح سِرّ الحياة).

فتحَ منصور سائرَ بوّاباتِ سِرّ الحياة، فأصبحتْ تَرى مَن حولها وتُرَى مِمَن حولها، ثُمَّ سافرَ بضعةِ أيَّامٍ بِصُحبةِ رهطٍ من الرجال، وعادوا بذكورِ الحيوان وإناثٍ أيضًا، كما قاموا بهدمِ سقف المدينة الذي كانَ مانعًا الطير من التحليقِ في جوّها، وهدموا أيضًا الأسوار الضخمة التي كانتْ تُحيط بسرِّ الحياة فتمنع عنها أشَّعة الشَّمس، اللهمَّ إلَّا بعض الكوَّات.

أضحتْ سِرّ الحياة مدينة نموذجية بعد أنْ كانتْ خيالية، وما ذاكَ إلَّا بسببِ أحمد

الحَســـــن الـــــذي حـــــافظَ علـــــى مِفتاحهـــــا، فجعلوهُ حكيمًا لها خلفًا للحكيمة مَنسيّة.

لا تعتذر فقد جَفَّ البئر

أرادَ الجــدّ أنْ يُعلِّــمَ حفيــدهُ أمــرًا فاصــطحبهُ إلى حقلهِ ذات صباح.

لـــتَكُن صـــبورًا بُنـــيّ فالـــدُّنيا خدّاعـــةُ المُتعجلـــين، مقهـــورة أمـــامَ الصـــابرين، ضـــعيفة مـــع أقويـــاءِ اليقـــين، خاســـرة إنْ واجهـــتْ أنقيـــاء الضـــمير. الحفيـــد بتـــأففٍ: سئمتُ العَيشَ مع النَّاسِ جدّي.

الجــدّ بعــدما رَبَــتَ علــى كتفــه: ولأجــلِ هــذا جئنا إلى هُنا بُنيّ.

الحفيــد بعــد أنْ حَــكَّ رأســهُ فــي إشــارةٍ منــهُ لعدم الفَهم: لم أفَهم جدّي.

جلـــسَ الجـــدّ تحـــتَ ظِـــلّ شـــجرة الســـدر العتيقـــة، بجـــوارِ بئـــرٍ لا يَقِـــلُّ عنهـــا عتاقـــةً،

وأخذَ يُحدّث حفيده بموقفٍ شَهِدهُ في صِغره.

رأيتُ أبي يتحدّثُ مع أحدِ جيراننا في الحقل المُجاور، يُحدّثهُ بلُطفٍ ولَين، لكنَّ الجار قد عَلاَ صوتهُ ولم يُقدّرُ حديث أبي، فما كانَ من أبي إلَّا أنْ تركهُ وعادَ ليُكمِلَ ريّ الأرض، لحظاتٍ وذهبَ الرَجُل لحقله، تعجبتُ من فِعلِ أبي فوضّحَ لي ما غابَ عن عقلي الصغير حينها؛ أنَّهُ إذا حَدَثَ بينكَ وبينَ أحدهم سوء فَهمٍ فكُن أنتَ البادئ في التوضيح، فإنْ لم يُنصت لك فاتركهُ وامضي حيثُ كُنت، حينها سيعلم أنَّكَ تجاهلتَ لبقاءِ الودّ بينكما، فسيهدأ ثورانهُ ويعود لأطواره، وسيأتيكَ مُعتذرًا إنْ كانَ هو المُخطئ.

وبالفِعل جاء الجار مُعتذرًا بعدَ عودتهِ لحقلهِ بساعة، رَحّبَ بهِ أبي وتعانقا بعد أنْ صَفَا القلبان، لكنَّ الذي أدهشني هو ردُّ أبي عليهِ حينَ قدّمَ اِعتذاره، سَمِعتُ أبي يقول له: لا تعتذر فقد جَفَّ البئر!

سألتُ أبي التوضيح قبلَ أنْ يذهبَ جارنا، لكنَّهُ اِنتظرَ حتّى تناولا مشروب الشاي المصنوع على نارِ الحطب، وتحدّثا سويًا بأمرِ المحصول الزراعي الذي سيقومانِ بزرعهِ بعدَ حصادِ المحصول الحالي، وبعدها ذَهَبَ جارنا لحقله، بينما أنا أتلهفُ سماع السِرّ وراء هذهِ المَقولة.

أخذني أبي وسارَ بي بعض الخُطوات لأرى أكبر بئرٍ في البلدة، بئرٌ عميق وعتيق، لكنَّهُ جَفَّ بعدَ أنْ نَضبَ مورده،

سألني أبي: هل تستطيعُ أنْ تملأهُ بحملكَ الماء من مكانٍ آخر ووضعهِ فيه؟

أجبتُ بالنفي، تبسمَ لي قبلَ أنْ يُردف: حاتم ولدي العزيز، هذا البئرُ هو أعمقُ بئرٍ في البلدةِ كُلّها، نَضبَ موردهُ مُنذُ زمنٍ بسببِ ما فعلهُ بهِ أحدهم، لا تُكثر عليّ سأقُصّ عليكَ ما حَدَثَ لتفهمَ أكثر..

كان يا ما كان، في سالفِ الزمان، شَخصٌ يُدعى إحسان، أحَبَّ الخيرَ لكُلِّ إنسان، فكانَ يُهدي من خيرِ أرضهِ الأهلَ والجيران، لكنَّ جارهُ حُسين صارَ منهُ غضبان، لحقدٍ تعلّمهُ من الشَّيطان، فكَرِهَ الخيرَ لإحسان، وفَكَّرَ في شيءٍ يُقصيهِ عن المكان، فكانَ القتلُ ظُلمًا، ومُوارةِ جسدهِ ببئرِ الماءِ عَمدًا، فحَدَثَ ما لم

يتبادر يومًا للأذهان، زادَ الماء ويكأنَّهُ فيضان، لتطفو جُثّة إحسان، ظَلَّ البئر يفيض حتّى أفسدَ الزرع ودَّمّرَ الأطيان، تنبَّهَ حُسين فعَلِمَ أنَّهُ سبب الخراب والدمار، سَلَّمَ نفسهُ للنيابة العامّة، ليُجازى على فِعلتهِ وقد كان؛ فقد حُكِمَ عليهِ بالإعدام، هدأ الفيضان، وعادَ البئر كما كان.

حسنًا أبي، ولكنْ أينَ سِرّ المَقولة؟

ربتْ أحمد على كتفهِ بحنانٍ وأضاف: بعدها بفترةٍ سادتْ القطيعة بينَ أهلِ البلدة، وتغيّرتْ المُعاملات فيما بينهم، ويكأنَّ شَّيطانًا قد زادَ النارَ حطبًا فكادَ الجميع يتقاتلونَ لأتفهِ الأسباب، حتّى خَطَبَ فيهم أبي الشيخ حاتم _رَحِمَهُ

اللَّه_ وكـــانَ إمامًـــا للمســـجدِ حينهـــا، فـــدعاهم للتصـــالُحِ والتصـــافي فيمـــا بيـــنهم، والعـــودة للتمّســـكِ بكتـــابِ اللَّهِ وسُـــنّة رســـولهِ _صَـــلَّى اللَّهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّم_ كمـــا كـــانوا قبـــلَ أنْ يُقتَـــلَ إحســـان، ويَســـكُن البئـــر شَّـــيطان، سَـــمِعوا لـــهُ وأطـــاعوا فتحـــوّلَ مـــاءُ البئـــرِ لنـــار، تلتهـــب بالحقـــد، وتَقـــوَى بالحســـد، وتتضـــاعف بالفُرقة.

أصـــابَ البـــور مُعظـــم أراضـــي البلـــدة، أضـــحى الجـــوع ضـــيفًا لـــبعض الأهـــالي، تـــذكّروا نصـــيحة شـــيخهم حـــاتم _رَحِمَـــهُ اللَّه_ فتقاســـموا اللقمـــة بيـــنهم، وســـاعدَ غنـــيّهم فقيـــرهم، كمـــا ســـكنتْ الرحمـــة قلـــوبهم، وتعاظمـــتْ أخلاقهـــم، وســـادَ الحُـــبّ مُجتمعهم.

ظَلّوا هكذا حتّى مضتْ السنون، وكَبُرَ أبناء البنون، فلم يعرفوا للإنحرافِ سبيل، طبعهم شهمٌ نبيل، أصلهم طيّب أصيل، لا يفتأ أحدهم يُخطئ حتّى يعتذر، غادرَ شَّيطان البئر البلدة؛ حيثُ لم يَجدْ لنفسهِ مكانًا بينهم، وهُنا جَفَّ البئر، لتعودَ السكينة والطمأنينة للأرض قبلَ الأنفُس.

كانَ أحدهم يزور حقلهُ بجوارِ البئر فوجدهُ قد جَفَّ، عادَ ليُخبرَ الأهالي، فشاهدَ أحدهم يعتذر للآخرِ فصاحَ قائلًا: لا تعتذر فقد جَفَّ البئر، ثُمَّ وضّحَ لهم، وصارتْ مقولة مأثورة، نقولها لمَن أخطأ كي نُذكّرَ بعضنا بماضينا، وكي لا يكونَ عليهِ حرج.. أفهمتَ حاتم؟

أومأتُ لهُ ثُمَّ عانقته، ومن حينها لا تُفارقني هذهِ القصّة، فكُلّما شاهدتُ موقفًا مُشابِهًا ذكرتُ (لا تعتذر فقد جَفَّ البئر) وذَّكّرتُ بِها.

والآن سأسألكَ ذات السؤال: أفهمتَ مَقصِدَ ما قصصتهُ عليكَ أحمد؟

أحمدَ بعدما قَبَّلَ جبينه: أجل جَدّي، وسأروي ما قصصتهُ عليَّ لأصحابي؛ كي تعمّ الفائدة، لا حُرمتُكَ جَدّي.

تبسمَ الجَدّ وأردف: ولا حُرمتُكَ أحمد ابنُ قلبي.

في بيتنا صوفي

أُمّي ما الذي يفعلهُ أبي؟

لا أدري بُنيّ، هو يقول أنَّهُ يَذكُرُ اللّه.

ولكنَّهُ يَذكُرُ أسماء أُناس، كما أنَّهُ يَنطِقُ على اللّهِ هُو، وأشياء عجيبة غريبة لم نتعلّمها في حصّة الدّين بالمدرسة.

الأُمّ: سَلمة دعكَ من التركيزِ معه، فقد نَهيتهُ قبلَ ذلكَ لكنَّهُ لم ينتهي.

سَلمة: حسنًا أُمّي كما تُريدين.

سَمِعَ سَلمة أباهُ يقول لأُمّهِ أنَّهُ صوفي، ولن يتخلّى عن العهدِ القديم، حتّى تُقبَض رَّوحه.

تركتــهُ عائشــة كمــا تفعــل حــينَ يتشــاجرانِ بســببِ الطريقــة الخاطئــة التــي يتبعهــا زكريا في طاعةِ المولى عزَّ وجلّ.

ســألها سَــلمة بعــدَ أنْ هــدأتْ عــن العهــدِ القــديم الــذي ذِكــرهُ والــده، لكنَّهــا أشــركتهُ في موضوعٍ آخر، ولم تُجبه.

لــم يَــركَن سَــلمة لعــدمِ إجابــةِ أُمّــه؛ فقــد أخــذَ يُفكّــر كيــفَ يصــل لمُبتغــاهُ بمعرفــةِ ماهيــة الصــوفية، التــي طــردتْ السَــكينةَ مــن بيــتهم طردًا؟

وهل هي من الدّينِ أم من خارجه؟

وهــل كــانَ الرســول صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ صوفيًّا؟

ظَلَّ يُفكّر كثيرًا حتّى أخبرَ مُعلّم التربية الدينية بما يدور برأسه، إذ أنَّ المُعلّمَ يُحِبُّهُ كثيرًا كما لو كان ابنه.

سَمِعَ المُعلّم من سَلمة، ثُمَّ أخبرهُ أنَّ النبيّ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم_ ما كانَ صوفيًّا، إذ الصوفية طائفة مُبتدَعة كَسائرِ الطوائف التي ظهرتْ في الزمانِ القريب، كما أنَّ دّينَ اللَّهِ هو الإسلام، ولكي أُسّهلها عليك، التمّسُك بكتابِ اللَّهِ وسُنّة رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، كما وصّانا الحبيب سيدنا مُحمّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فانظر إلى محلّ الوصيّةَ من الأعمال، سَتَجِدْ إجابة ما يدورُ برأسكَ من أسئلة.

عادَ سَلمة إلى البيتِ مَهمومًا، عَلاَ صوت أبيهِ بما يقولهُ من أورادٍ كَسائرِ الأيَّام، طرقَ سَلمة البابَ ودلفَ ليستأذنهُ في قراءةِ الكُتيّب الذي يقرأ منه، أعطاهُ زكريا الكُتيّب وقد تهللتْ أساريره؛ ظنًّا منهُ أنَّ سَلمةَ قد وافقَ على اِتباعِ الصوفية، لكنَّهُ خيّبَ ظَنّهُ حينَ أخبرهُ أنَّ هذا الكُتيّب يحوي بداخلهِ الضلال، ولا عَلاقةَ لِمَا سُطِرَ بهِ من دّينِ اللَّه، كما أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهُ براء، ومَن سارَ على نَهجِ هذا الضلال رَضيَ الشَّيطانُ عنهُ وأرضاه.

صفعهُ زكريا فأدمى وجهه، وأخذَ الكُتيّب منهُ وقَبّلَه، ثُمَّ اِنهالَ عليهِ بالسُبابِ بأقذرِ الألفاظ، حتّى جاءتْ عائشة من المطبخ،

فبكتْ لرؤيةِ وجه ابنها النازف، وأخذتهُ لتُطبّبَه.

سألها سَلمة وهي تمسحُ لهُ الدَّم عن سببِ زواجها من أبيه، أجابتهُ بأنَّهُ النصيب والقدر، لم يستطع أنْ يكتم دمعهُ من التدّفُق.

أوقفتْ عائشة نزف وجه سَلمة، ثُمَّ ربتتْ على كتفهِ وأخبرتهُ أنَّ اللَّهَ سيجعل لهم مخرجًا، سألها سَلمة ثانيةً: لماذا وافقَ جَدّي وأخوالي تزويجكِ لأبي، وهو أقل منكِ فِكريًا وثقافيًا وتعليميًا، حتّى في طاعةِ المولى عزَّ وجلّ أنتِ حافظةٌ للقرآنِ العظيم، بينما هو لم يتجاوز حفظه قِصار السور، لماذا أُمّي؟

أجابتــــهُ بصــــوتٍ مـــذبوح بعـــد مـــا ذرفـــتْ عيناها: لضِيقِ حالهم ولدي زوّجوني له.

ربـــتْ سَـــلمة علـــى يـــدها بحنـــانٍ بعـــدَ أنْ قَبَّلهـــا وأردف: اللَّهُ قَـــدّرَ كُـــلّ هـــذا وهـــو كفيـــلٌ بـــهِ عائش.

تبســـمتْ لـــهُ وأضـــافتْ: ونعـــمَ بـــاللَّهِ العلـــيِّ العظيم، سَلمة سَلوتي من الدُّنيا.

مَـــرّت الأيَّـــام وبَلَـــغَ سَـــلمة الخامســـةَ عشـــر، وهُنـــا عـــادَ يُحـــدّث زكريـــا فـــي التوبـــةِ مـــن الضـــلالِ الـــذي سَـــلَكَ طريقـــه، لكنَّـــهُ لـــم ينتهـــي بـــل وأخـــذَ يُفـــاخر بزيـــارةِ الأضـــرحة، والتوّسُـــلِ بـــالموتى، ويـــدعو أصـــحابهُ لفِعـــلِ مـــا يفعـــل، لكـــنَّ أحـــدهم قاطعـــه، وأخبـــرهُ أنَّ ما يفعلهُ ضلال لا عَلاقةَ لهُ بالدّين.

تحدّثتْ معهُ عائشة لكنَّهُ زجرها وسَبّها، بل وامتنعَ عن الإنفاقِ عليها هي وسَلمة، ممّا اضطر سَلمة للعملِ في أحد الأسواق، كي يكفي حاجة البيت.

لم يستسلم سَلمة لليأسِ من أمرِ أبيه، فقد طلبَ من أحدِ الشيوخ أنْ يُحدّثهُ بالحقّ، ففعلَ لكنَّ زكريا أخبرهُ أنَّهُ على هذهِ الطريقة مُنذُ العهد القديم، العهد الذي أعطاهُ إيَّاهُ أحد السودانيينَ حينَ كانَ يعمل بإحدى الدول العربية، وأخبرهُ أنَّهُ طائفة تهيمُ عشقًا في رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وبهذا يُفضّلونَ على غيرهم من باقي المُسلمين، كما أنَّ مَن ينتهج نهجهم يُصبحَ من آلِ بيتِ

النبـــيّ _صَـــلَّى اللَّهُ عَلَيْـــهِ وَسَـــلَّم_ فـــي ليلـــةٍ وضُحاها.

عـــادَ الشـــيخ بُخفـــيّ حنـــين ليُخبـــرَ سَـــلمة أنَّ زكريـــا قـــد غُـــرِرَ بـــهِ لجهلـــهِ مـــن قِبـــلِ دُعـــاةِ الضـــلال، الـــذينَ أوهمـــوهُ أنَّ الإســـلام هـــو الصـــوفية، أمَّـــا مـــا كـــانَ دونَ ذلـــكَ فمـــا هـــو إلَّا كُفرٌ مَحضٌ!

كمـــا أنَّ زكريـــا قـــد بَـــرَهَنَ علـــى ثبـــاتِ موقفـــه، بـــأنَّ أحـــد أشـــهر المُفتـــين يـــدعو إلـــى الصـــوفية، بـــل ويتشـــدّق بهـــا فـــي برامجـــهِ المُتلفزة.

ثُـــمَّ طَلَّـــقَ زكريـــا عائشـــة؛ لعـــدم اِنصـــياعها لأمـــرهِ بإتبـــاعِ الصـــوفية، وطردهـــا هـــي وسَلمة من البيت.

اِستأجرَ سَلمة غُرفة تأويهِ وأُمّه، وظَلَّ يُكافح حتّى اشترى لها بيتًا، بعدَ أنْ تخرّجَ من كُلّيةِ الهندسة وعَمِلَ بإحدى شركات المُقاولات، بعدها سافرَ للعملِ بإحدى الدول الآسيوية، وأخذَ أُمّه لتُقيمَ معهُ هو وزوجهِ وأبناءه.

أمَّا عن زكريا فلا زالَ زوّارًا للأضرحة، مُتوّسلًا بالموتى، مُتبّعًا دُعاة الضلال، يُنفقُ من خيرِ أرضهِ في سبيلِ الشَّيطان، ورغم أنَّ بعض الشيوخ والمُثّقفينَ قد علّموهُ بالطريقِ الذي لا ينتهي عن السيرِ فيه، إلَّا أنَّهُ ضربَ بما سَمِعَ منهم عَرض الحائط.

بـــل وســـافرَ الســـودان ليُقابـــلَ مَـــن أعطـــاهُ العهـــد القـــديم، ليُعطيـــهِ الجديـــد مـــن العهـــد.. فكانَ تَعلُّمِ السِّحر.

بعض الحَمقى لا يَموتون

دَمَّرَ الغلاء مُخططهُ الذي خطَّطَ لهُ مُنذُ زمن، ليتزوّجَ ويستقرّ نفسيًا، وعاطفيًا ومكانيًا، وأخيرًا أُسريًا، ظَلَّ يَدّخر ما يَقتطِعَهُ من راتبهِ الشهري إلى أنْ بلغَ ما أراد، عَقَدَ النيّةَ على أنْ يذهبَ غدًا إلى إحدى فتياتِ الجيران ليخطبها، وهو على يَقينٍ بأنَّهُ قد أكملَ ثمن الشبكة، ولوازم الزيارة، بالإضافةِ لمصاريفِ يوم الخِطبة.

اِستيقظَ باكرًا على صوتِ المُنَبّه، ربع ساعة اِنقضتْ وكانَ قد صَلَّى وتناولَ إفطاره، ثُمَّ اِرتدى بنطالًا وقميصًا وذهبَ إلى المدرسة؛ فموعدهُ الأوّل في جدولِ

الحصص، خاصّةً أنَّ الحسابَ يحتاجُ إلى ذهنٍ يَقِظ.

وصلَ مدرسة الحي التابع له، دلفَ الفصل، ألقى تحيّة الصباح على التلامِذة، ردّوا بأحسنَ منها، تبسمَ لهم، وأخذ يُعنون على السبُّورةِ درس اليوم، بعدَ أنْ أَرَّخَ اليوم هِجريًا وميلاديًا.

أنهى حِصتهُ ذات الخمسة وأربعونَ دقيقة، ثُمَّ نَظَرَ في جدولهِ فلم يَجدْ حِصصًا أُخرى، إذ أنَّ الثلاث مُعلّمين الأُخَر يحتلّونَ باقي حِصص اليوم الدراسي لجدولِ مادّة الحساب.

عادَ إلى البيتِ فَرِحًا رغم مُعاناتهِ من وسائل المواصلات، خاصّةً أنَّهُ شهر أبريل والشَّمس مُشرقة، والجميع

يتصبَّبُ عرقًا، والكُلّ يُقاتِلُ من أجلِ الجلوسِ على المِقعدِ الذي تعلوهُ نافذة عربة المواصلات.

تهللتْ أسارير أُمّهِ برؤيةِ البسمة على وجهه، فأخذتْ تُضاحكه: مالي أراكَ مُنصهرًا ونَحنُ في فصلِ الربيعِ ربيع؟

أجابها بسُخرية: قديمًا قالوا: الدُّنيا ربيع، والجوّ بديع، قفّل لي على كُلّ المواضيع.. يبدو أنَّهم لم يُقفّلوا عليها جيّدًا فانفجرتْ طقسًا بالجُملةِ أُمّ ربيع، وضَحِكا.

تابعتْ أُمّ ربيع: الحقُّ معكَ ولدي، ففي اليومِ الواحدِ يتغيّرُ الطقس أكثرَ من مرّة.

ربيـــع: دعنـــا مـــن الطقـــسِ الآنَ أُمّـــي، ولنُركـــز علـــى زيـــارةِ الليلـــة لبيـــتِ عـــمّ ممدوح.

أُمّ ربيـــع: أســـعدَ اللَّهُ قلبـــكَ ولـــدي، وجبـــركَ بمّا يَسُرّ خاطرك، ويُطمئن فؤادك.

أَمَّـــنَ ربيـــع علـــى دُعائهـــا، ثُـــمَّ أخـــذَ بعـــض المـــال وذهـــبَ ليبتـــاعَ لـــوازم الزيـــارة مـــن كعـــكٍ وشـــطائر، بالإضـــافةِ لباقـــةٍ مـــن الـــورد البلدي، وكذا بعض الشيكولاته.

وصـــلَ ربيـــع إلـــى الســـوق، رأى مُبتغـــاهُ عنـــدَ أحـــدِ الباعـــة، أســـرعَ ليشـــتريه، أخـــرجَ ثمنـــه، لكنَّـــهُ تفاجـــأ بـــأنَّ ســـعرهُ قـــد تضـــاعف، حـــاولَ أنْ يحصـــلُ علـــى خصـــمٍ لكـــنْ لا خصـــمَ فـــي ظِلِّ هذا الغلاء.

أخذَ يَحسِبُ حِسبتهُ بُناءً على الأسعار الجديدة، فوجدَ أنَّهُ سيضع شراء الشيكولاته جانبًا، ثُمَّ طلبَ من البائعِ أنْ يُجهِّزَ لهُ أغراضه، وهُنا أصابتهُ الدهشةَ حينَ أخبرهُ أنَّ نقودهُ لا تكفي إلَّا لغرضينِ فقط، هُما الكعك والشطائر، وهذا بعد ما زادتْ الأسعار ثانيةً في ذاتِ النصفِ ساعة.

تَقَبّلَ مرارةَ واقعه، ثُمَّ طلبَ من البائعِ أنْ يُجهِّزَ لهُ الكعكَ والشطائر، وعادَ إلى أُمّهِ حزينًا.

قَصَّ عليها ما حَدَثَ فهوّنتْ عليه، وأخذتْ تُطمئنُ قلبهُ كَعادتها، ثُمَّ طلبتْ منهُ أنْ يستعدّ فقد حانَ موعد الزيارة.

أتى الليلُ بسدولهِ وها هو ربيع جالسٌ مع العمّ ممدوح، بينما أُمّ ربيع تتحدّثُ مع زوجهِ سرًّا بخصوصِ إحدى وصفات طهي الطعام.

رَحَّبَ ممدوح بِهما، وامتدحَ ربيع بأخلاقهِ السامقة، وأدبهِ الجَمّ، وسعيهِ في التغيُّرِ نحو الأفضل، وحُسنِ سيرتهِ وأصلهِ الطيّب.

رَدَّ لهُ ربيع المدح بمِثله، ثُمَّ طلبتْ أُمّهُ من ممدوح أنْ يُنادي للعروسِ كي تُسلِّمَ عليها، أومأ لزوجهِ فقامتْ لتُناديها، لحظاتٍ وجاءتْ العروس تحملُ بعض العصائر، فتاةٌ مقبولة شكليًا، مرموقة أخلاقيًا، جميلة نفسيًا وهذا يكفي، كما قالَ ربيع لأُمّهِ بعد العودة للبيت.

مَـــرَّ يومـــان وقـــد اِتصـــلَ ممـــدوح بربيـــعٍ ليُخبـــرهُ بالموافقـــة، ثُـــمَّ دعـــاهُ لمُشـــاركتهِ فـــي مشروبِ الشاي بعدَ صلاةِ العصر.

أتـــى الموعـــد المُحـــدَد وكـــانَ لممـــدوحِ مـــا أراد، تنـــاولا الشـــاي ســـويًا ثُـــمَّ أخـــذَ يُملـــي عليـــه شـــروطه، ومنهـــا جرامـــاتٍ بعينهـــا مـــن الـــذهب، وأثـــاثٍ بعينـــه، بالإضـــافةِ لمهـــرٍ مُحـــدَد، كمـــا أخبـــرهُ أنَّـــهُ لا يقتنـــع بالخِطبـــة، بـــل ليَعقِـــدَ عليهـــا ومـــن ثَـــمَّ يســـتطيعا التعـــرُّفِ على بعضيهما أكثر.

تعجـــبَ ربيـــع مـــن شـــروطِ ممـــدوح، وطلـــبَ منـــهُ أنْ يُمهلـــهُ يـــومينِ للـــردِّ عليـــه، ســـواء بالموافقةِ أو الرفض.

الحمـــدُ لِلَّهِ أنْ جـــاءَ الـــرفضُ مـــنهم، هكـــذا قالـــتْ أُمّ ربيـــع لابنهـــا حـــينَ أخبرهـــا بمَفـــادِ

الزيارة، لم يَفهم ربيع مقصدها حتّى وضّحتْ لهُ أنَّهم قد رفضوه، والدليل على هذا هو شروطهم الغير معقولة، مع عِلمهم بالحالِ والمال، لكنَّهم فضّلوا ألَّا يجرحوكَ فكانتْ الشروط هي الطريقة.

فَهِمَ ربيع واعتذرَ لممدوح، وراحَ ليحسِبَ ما ادَّخرهُ من مالٍ طِيلة سنوات، فإذ بهِ يُفاجأ بتعويمِ الجُنيه للمرّة.. لا يَذكُر من كثرةِ التعويماتِ السابقة على مدار أشهُرٍ معدودات.

فَقَدَ الجُنيه قيمته، وفَقَدَ ربيع صبرهُ وحماسه، بل وفَقَدَ الرغبةَ من الأساس، فما كانَ يستند عليهِ أضحى بلا قيمة، ضاعَ بعض عُمرهِ هباءً وهو لا ذنبَ له.

أعطى أُمّهُ ما كانَ يدّخرهُ لتُنفقَ منهُ على الطعامِ البسيط الذي يقتتانهِ ليبقيا على قيدِ الحياة، ثُمَّ أخذَ يُفكّر في حلٍّ يُكسبهُ المال، فالراتب الذي يتقاضاهُ لا يكفي لمعيشةِ فردٍ واحد، فكيفَ بهِ هو وأُمّه؟

حتّى وإنْ زادتْ الأجور فإنَّ الأسعارَ قد فاقتها في الزيادة، والغلاء يزداد يوميًا ولا يَقِلّ، ولا يدري المواطن البسيط من أينَ سيدفع فواتير الغاز والكهرُباء والماء؟

تذكّرَ ربيع أنَّهُ قد قامَ بعملِ تأمينٍ على حياتهِ مُنذُ سنوات، لكنَّ شيئًا لم يَحدُث، طالما لم يَمُت أو يُصاب بحادثة مثلًا.

فَكَّرَ كيف يستفيد من التأمين، فعَلِمَ أنَّ بإمكانهِ الحصول على مَبلغٍ من المال من شركةِ التأمين حالَ إصابتهِ بحادثة.

قَرّرَ ربيع أنْ يصنعَ الحادثة لنفسهِ طالما هي لم تُصبهُ من تلقاءِ نفسها، اِتفقَ مع أحدِ السائقينَ على أنْ يصطدمَ بهِ أثناء سيره، لكنْ بحذرٍ كي لا يُفقدهُ حياته، يكفيهِ كسرُ ساقه، حتّى يحصُل على مَبلغٍ من المال، من شأنهِ أنْ يُغيّر مستوى معيشتهِ نحو الأفضل.

حانَ موعد التنفيذ، دقائقَ ونُقِلَ ربيع إلى المُستشفى، وأخبرَ تقرير الطبيب الذي تابعَ حالته، أنَّهُ قد تَمَّ كسر ساقه، ومُدّة العلاج التي سيقضيها وغيره، فَرِحَ ربيع رغم ألمه، وهاتفَ شركة التأمين، جاء

منـــدوب منهـــا ليُعـــاينَ الحالـــة، ثُـــمَّ تَقـــرَرَ صـــرف المبلـــغ المُتفَـــق عليـــهِ فـــي مِثـــلِ هـــذهِ الحالات.

فَـرِحَ ربيـع أيُّمـا فَـرحٍ ولكـنْ دائمًـا مـا تـأتي الريـاح بمـا لا تشـتهي السُـفن؛ فقـد تَـمّ تعـويم الجُنيـه فـي نفـسِ اللحظـة التـي اِسـتلمَ فيهـا ربيـع المـال، ليُصـبِحَ بـلا قيمـة، بالكـادِ يكفيـهِ لتنـاولِ بعـض الـدجاج والفاكهة، كي يستردّ عافيته.

مَضـى وقـتٌ علـى حادثـةِ ربيـع، قطـعَ عهـدًا علـى نفسـهِ بـألَّا يـدّخِرَ جُنيهًـا واحـدًا بعـدَ الآن، حتّـى يتعـافى الجُنيـه وتعـود لـهُ قيمتـه، فظـلَّ هكـذا عُمـرًا ثُـمَّ سـافرَ بأُمّـهِ بعـدَ أنْ عَمِلَ وأقامَ بإحدى دول الخليج.

سعادة في بيتِ أبيها

تزوجَتــــهُ فقيــــرًا فصــــبرت عليــــه وكافحــــت معــــهُ، أنجبــــا أربعــــة أبنــــاء، رَبّــــتهم خيــــر تربيــــة، وظلّــــت ترعــــاهم حتّــــى أُصــــيِبَت بمرضٍ ماتتْ على إثره.

اليــــوم الثــــاني مــــن أكتــــوبر لعــــام ألــــف وتسعمائة وثمانون.

دفنها ورثاها ثُمَّ عَادَ لأبنائهِ الصِغار.

أبي أين أُمّي؟

واريتُها الثَرى ابنتي!

آهٍ على فِراقكِ أُمّي.

الأبّ بعــدما ضَــمّها لصــدره: ســعادة كــوني قويــة، فــلا سَــند للبيــت غيــركِ بعــد أُمّــكِ؛ فَلتَصبري لأجل إخوتُكِ الصِغار.

سعادة ذارفةً جَمرُ قلبها في دَمعِها: حسنًا أبي.

الأبّ بصوتٍ مُختنق أشبه بالبُكاء: والآن لتجلسي بجوار إخوتُكِ ريثما أُعِدَّ لكم الطعام.

سعادة: دعني أُساعدك أبي.

الأبّ بصوتٍ خافت: يكفي تعبكِ طِيلة النّهار فأنتِ لم ترتاحي بعد بُنيّتي.

سعادة: كما تُريدُ أبي.

دلفت غُرفة المعيشة حيثُ إخوتها الصِغار يتحدّثون.

سعادة أينَ أُمّنا؟

لم تستطع أنْ تُجيبهم فصمتت.

سعادة مَالَكِ شاردة؟

سعادة: نَعم مهدي.

مهدي: أينَ أُمّنا؟

سعادة وقد تساقط دمعها: ذهبت لخالِقها.

مهدي: كيف ذهبت إلى اللَّهِ دونَ أنْ تُخبرنا؟

سعادة: حينَ تَكبُر ستعلم.

مهدي: إذًا مَاتَتْ أُمُّنا.

سعادة بعدما اِجهشّت في البكاء: باللَّهِ عليكَ مهدي لتصمُت فكلامُكَ يَقطَعُ داخلي.

مهدي رابتًا على كَتفِها بحنان: أُختي أنا لم أَعُد صغيرًا فقد بلغتُ العاشرة، وأتقطعُ مِثلكِ، لكنَّني سأتوحشُ أُمّي؛ ثُمَّ بَكى وبَكى غانم وبَكت ليلى لبُكائهما.

سعادة بعدما اِحتضنتهم: لا عليكم.. سنراها حينَ نذهب إلى ما ذهبت إليه؛ فلا بُدَّ أنْ نصبر كما أخبرتنا في مرضها الذي ذهبت به.

فكفكفوا دموعهم ثُمَّ أخذوا يُحَدِّثونَ بفضلها، وبما عَلَّمتهم حتّى ناداهم أباهم: أبنائي فلذاتي قد حَضرَ الطعام فهيّا لنتناوله.

نَظَرَ الأبّ لأبنائهِ ثُمَّ أخفى دَمعةً كادت أنْ تسقط من عينهِ وأضاف: لا حول ولا قوة إلَّا باللَّهِ العليّ العظيم، هكذا حالُ الدنيا فكُلّنا ضيفًا عليها، مُنذُ سبعةَ عشر عامًا كانتْ أول ليلة لأمّكم مَعي؛ فقد تَزوجنا في هذا البيت الذي لم يكن بهذا الترتيب وقتها، صَبَرت عليّ وتَحملَّتني

وأعـــانتني علـــى كُـــلِّ خيـــرٍ،ورَبَّتكم حبّـــذا تربيـــة، ورحلـــت عنّـــا كنســـمةِ هـــواء بعـــدما أُصـــيبت بالســـرطان فرحمهـــا اللّه، وطيَّـــب ثراها، وبرحمتهِ في الجنّة نلقاها.

فردَّ الأبناء: اللهم آمين يا ربّ العالمين.

مَـــرَّت الأيَّـــام وبلغـــت ســـعادة ثمانيـــةَ عشـــر عامًـــا، واليـــوم الـــذِكرى الثالثـــة لوفـــاة والدتها.

سعادة ألم تَنتَهِ بعد؟

ســـعادة: بلـــى قـــد اِنتهيـــتُ أبـــي ولكنَّنـــي أُرتـــب العُلب.

الأبّ: رحمـــكِ اللّهُ نـــادرة؛ فقـــد تركـــتِ لـــي شـــبيهتُكِ فـــي كُـــلِّ شـــيء. ســـعادة: رحمهـــا اللّهُ وبارك لنا فيكَ أبي.

الأبّ مُبتســـــمًا: هيّـــــا فالنّـــــاس تنتظرُنـــــا، أخشى أنْ نتأخر عليهم.

سعادة: حسنًا أبي تفضل.

الأبّ: سَتركِ اللَّهُ ابنتي.

ثُـمَّ خَـرَجَ لمَـن دعـاهم لبيتـه كمـا يفعـل كُلَّمـا جاءت ذِكرى زوجتهِ الراحلة.

مهـدي.. ليلـى .. غـانم .. هيّـا لتتنـاولوا مـا أَعددتُ لكم من حَلوى.

مهـدي بعـدما اشـتمّها: يـا اللّه علـى طِيـب رائحتها.

ليلى بعدما تذوقتها: شَهِيّةٌ كالعادة.

غـانم وقـد لَعِـقَ أصـابعه بعـد تنـاول بعـض الحَلـوى: سـعادة تُطهـو لنـا حَلـوى السعادة.

سعادة فَرِحةً: بالهناءِ والشفاء.

جزاكِ اللَّهُ خيرًا بُنيّتي وعوّضكِ بالجنّة.

سعادة مُقبّلةً رأسُه: آمين وإيَّاكَ أبي.

مَـرّت الأيَّـام وأَنهَـى مهـدي تعليمـهُ الثـانوي مُلتحقًـا بكليـة الهندسـة، وتزوجـت ليلـى مـن ابـن جيـرانهم وأنجبـت ذكـرينِ وأُنثـى، والتحـق غـانم بالثانويـةِ العامّـة بقـريتهم، ولا زالـت سـعادة فـي بيـت أبيهـا؛ رافضـةٌ تـركُ أبيهـا وأخويهـا كمـا فعلـت أُختهـا الصغيرة ليلى.

سعادة أُريدُكِ في موضوعٍ هام.

تفضّل غانم، أَنْصِتُ لك.

غـانم: أُختـي وأُمّـي وتـاج رأسـي، مـا رأيُـكِ أن تتعلّمي الكتابة ومن ثَمَّ القراءة؟!

سعادة وقد أخذتها الدهشة: أيصّحُ بعد كُلّ هذا العمر؟

غانم ضاحكًا: عُمرُ مَن؟.. ألا ترينَ نفسكِ؟

سعادة: ماذا تقصد؟

غانم: أقصد أنَّكِ مازلتِ صغيرة فلا تُكّبري نفسكِ كما أنَّ العِلمَ ليس حِكرًا على عُمرٍ بعينه، فالعِلم بالعقول لا بالأعمار!!

سعادة مُبتسمةً: هكذا إذًا، حسنًا.

غانم: والآن لتنتبهي معي.

سعادة: حسنًا.

ظلَّ غانم يُعلّمُ سعادة حتّى التحق بالجامعة؛ بعدما أَنهَى مهدي دراستهُ

وذَهَبَ لإحدى الدول العربية ليعمل بها، وفي تلك الأثناء مَاتَ الأبّ؛ تاركًا لهم ذِكراهُ العَطِرَة وبعض المال ليقتاتوا به.

سعادة.. سعادة أُريدُكِ أنْ تفرحي معي.

سعادة فَرِحةً: إذًا قد ظهرت نتائج الإختبارات.

غانم: أجل وقد حَصلتُ على تقدير إمتياز مع مرتبة الشرف.

سعادة بعدما أسمعت الجيران بصوت فرحها: مُباركٌ عليكَ حبيبي، والعُقبى للتعيين حضرة الطبيب غانم.

غانم باكيًا: لا تُنَادِيني بالطبيب؛ فأنا ابنكِ غانم الذي ربَّيتيهِ وسَهرتِ معهُ في مذاكرته دونَ عِلمُكِ بها، والآن وَفَقَني

اللَّهُ بفضل دعائكِ لي تاج رأسي ثُمَّ قَبَّل يداها.

سعادة باكيةً: رَحِمَ اللَّهُ أَبوينا فقد أَحسَنَا لنا التربية، وأنتَ أخي أحسنتَ إليَّ حينَ عَلَّمتَني كيف أكتبُ وأقرأ، فكأنَّك أزلت غشاوةً كانتْ تُعمِي عقلي عن عمله فجزاك اللَّهُ خيرًا.

مَرّت الأيَّام وعَادَ مهدي من غُربته كإجازة، قَامَ فيها ببناء البيت وزخرفته، وأعانَ أخيه غانم على الزواج من نور ابنة عميد كلية الطب التي عُيَّنَ غانم مُعيدًا بها بعد تفوقه وحصولهِ على المركز الأول على سائر دُفعته، كما جَلب مهدي خادمة لتُريح سعادة من أعباء البيت.

سعادة أتُريدين شيئًا آخر أُمّي؟

سعادة: سَلَّمَكَ اللَّهُ لي مهدي فأنتَ لم تجعلني أحتاج شيئًا ، ولكنَّي أُريد!!

مهدي: فقط أَنطِقي بما تُريدي أُحضرهُ لكِ في الحال.

سعادة: أُريدُ أنْ أراك زوجًا وأبًا.

مهدي: ليسَ قبلكِ .

سعادة: بل قَبلي.

مهدي: باللَّهِ ليس قبل أنْ أطمئن عليكِ في بيت زوجٍ صالحٍ يُسعدكِ ويتَقي اللَّهَ فيكِ .

سعادة في خجلٍ: كما تُريدُ أبا حبيب.

مهدي: أبا حبيب؟

سعادة: أجل فأوّل ذريتك بمشيئة اللَّهِ سيكون حبيب لتكن أبا حبيب.

مهدي مبتسمًا: رَحِمَكَ اللَّهُ أبي، فقد كنت ذا حظٍ من اسمك.

سعادة: رَحِمَهُ اللَّه.

مَرَّ شهران وقد تزوجت سعادة من مهندسٍ زميل أخاها مهدي، وأقامت معهُ خارج مصر بجوار بيت أخيها مهدي؛ الذي تزوج بعدها بأسبوع وسافر بزوجتهِ للإقامة محلّ عمله، ولاحقًا سافر غانم إليهم بزوجتهِ كإعارة لإحدى المستشفيات هُناك، ولم يَبقى منهم في مصر سوى ليلى.

أبـــا يحيـــى قـــد اِتصـــل بـــي إخـــوتي اليـــوم وأعـــادوا علـــيَّ دعـــوتهم لأُســـافر إلـــيهم؛ كـــي أقضي معهم بعض الوقت فما رأيك؟

أبا يحيى: الرأيُ لكِ أُمّ يحيى.

أُمّ يحيى: إذًا سأُسافر أنا وأنت والأولاد.

أبا يحيى: حسنًا.

مَرّت ثلاثة أشهُرٍ وحانَ موعد السفر.

موســـى هيّـــا بِنَـــا لقـــد تأخرنـــا، أيـــنَ أنـــتَ الآن أبا يحيى؟

أبـــا يحيـــى: إذهبـــوا أنـــتم إلـــى المطـــار وسألحقُ بكم.

أُمّ يحيى: كيف.. كيف أبا يحيى؟

أبا يحيى: كما سَمعتِ.

ذهبت بأولادها للمطار منتظرين قدوم أبا يحيى؛ الذي تأخر حتّى همّت الطائرة بالتحليق، فجاءها اِتصال من رقمٍ مجهول.

السلامُ عليكم.. أحضرتُكِ زوج موسى مدبولي؟

أُمّ يحيى: أجل ولكن أين هو؟

بعد لحظات صرخت ليلى بكل طاقتها: هذا ما جنيتُهُ بحقِّ نفسي لَيتني صبرتُ كما صبرَت أُختي سعادة ففي العجلة الندامة.. عليكَ اللَّهُ يا موسا!!!؛ فقد أصبتَنا بالعار.. إختلاس.. عليكَ اللَّه.

عِبْرَة

الجـــو بـــاردٌ اليـــوم ليتنـــي أتيـــتُ بمِعطفـــي لأتوارى بهِ من البرد.

جَدّتي ما الذي أتى بكِ في هذا البرد؟

جئتُـــكِ بـــالمِعطف خشـــية أنْ يُصـــيبكِ البـــرد بأذى.

سَلِمَت يداكِ جدّتي وأدامكِ اللَّهُ لي.

ولي أدامكِ اللَّهُ فاطمة.

سأعودُ إلى البيت.. أتُريدينَ شيئاً بُنيَّتي؟

سلامتُكِ أُريدُ جدّة.

ثُـمَّ واصـلت فاطمـة عملهـا فـي حقـل العُمـدة كمعظـم فتيـات القريـة الفقيـرات؛ فمـا تحصـل عليـه مـن هـذا العمـل تقتـاتُ بـه هـي وجـدّتها لتبقيّـا علـى قيـد الحيـاة، التـي

فارقها أبواها مُذ كانتْ في العاشرة من عُمرها؛ فانتقلت كفالتُها إلى جدّتها لأُمّها وهي الوحيدة الباقية من ذوي رَحِمها، ظلّت الجدّة تعمل وتَكّد لتُلّبي لفاطمة إحتياجاتها من غذاءٍ ودواءٍ وتعليم، حتّى بلغت فاطمة الخامسة عشر حينها إزدادت المصروفات الدراسية وحتمًا ستزيد إنْ أكملت فاطمة تعليمها الثانوي، فأخرجتها من التعليم وأجلستها بالبيت ثُمَّ تَعِبَت بعدها ولم تستطع إكمال كَدّها لتعولها، ومن هُنا بدأت فاطمة بالعمل في حقل العُمدة وإلى الآن، وقد تجاوزت العشرين من عمرها.

فاطمة بماذا تُتمتمين؟

بآياتٍ من القرآن الكريم.. بدرية ما رأيُكِ أنْ أُحفظّكِ ما حَفِظت؟

بدرية بصوتٍ حزين: ليتهُ يُجدي.

فاطمة بعدما ربتت على كَتفِها: ولِمَ لا؟

بدرية بعدما أطلقت زفرة حارّة: الهمومُ صديقتي.. الهموم قد سكنت الدماغ فأضعفت الذاكرة.

فاطمة في مرحٍ: وهل للحياةِ مذاق بلا هموم؟

بدرية مُتعجبة: ماذا تقولين؟

فاطمة: نعم، فالحياة بلا هموم مليئةٌ بالملل، ما

فائدة الحياة إنْ كانَ كُلّ ما تُريديهِ بحوزتك؟

لا فائـــدة، لرُّبمـــا لـــدى الـــبعض، ولكـــنَّ الهمـــوم تجعلُنـــا نُكـــافح ونُكـــافح ونُكـــافح آملـــين أنْ نُحقّـــق مـــا نُريـــد وهنـــا تكمـــن المَيـــزة؛ فيـــا حبيبتـــي نحـــن نـــؤجر علـــى تعبنـــا ونُرضـــــي أنفســـــنا بالســـــعي وعلـــــى اللَّهِ الإتكال.

بدرية مُبتسمةً: صدقتِ حبيبتي.

فاطمـــة: والآن أوشـــكنا علـــى الإنتهـــاء مـــن عملنـــا هـــذا اليـــوم، وبعـــدهُ تـــأتينَ معـــي إلـــى جـــدّتي نتنـــاول الطعـــام، ثُـــمَّ نقـــرأ بعضـــاً مـــن آيات القرآن الكريم.

بدرية: حسنًا.

السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاتهُ جدّتي.

وعليكنَّ السلام ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

فاطمة بعدما قبَّلت يُمنى جدّتها: جدّتي قد دعوتُ بدرية لنتناول الطعام سويًا ثُمَّ نقرأ بعضًا من القرآن الكريم.

تبسمت لها وأضافت: أشرقت الأنوار.. أهلًا وسهلًا ومرحبًا ببُنيّتي بدرية.

بدرية بعدما قبَّلت جبينها: أهلًا بكِ جدّتي.

فاطمة: سأُحضّر الطعام فلتكنَّ على إستعداد لإلتهامه.

الجدّة: سلمت يداكِ بُنيّتي.

بدرية في وجلٍ: جدّتي أُريدُ أنْ أُخبركِ بشيءٍ فهلّا سمحتِ لي بذلك؟

الجدّة: أجل على الرُحب بُنيّتي.

بدريـــة: جـــدّتي أتعـــرفينَ مـــراد بيـــه الـــذي يقطـــن قـــرب مـــدخل القريـــة ببيتـــه المزخرف؟

الجـــدّة: أجـــل عَرِفتـــهُ مـــراد بيـــه ابـــن الحـــاج هشام _رحمهُ اللّه_ لكنْ لماذا تسألين؟

بدريـــة: لديـــه ابـــنٌ وحيـــد يكبُرُنـــا بســـنوات وابنـــة تقـــربُ مـــن عمرنـــا. الجـــدّة: نعـــم أعلـــمُ ذلك.

بدريـــة: منـــذُ فتـــرة وأنـــا أرى ابنـــه هشـــام يترقب فاطمة عند عودتها من الحقل!!

الجدّة: كيف لاحظتِ ذلك؟

بدريـــة: عنـــدما يـــأتي بســـيارتهِ ثُـــمَّ يتوقـــف منتظـــرًا خروجهـــا مـــن الحقـــل ليتبعهـــا بسيارتهِ مُبطِئًا القيادة.

الجدّة: مُنذُ متى؟

بدرية: مُنذُ شهرينِ تقريبًا.

الجدّة: وفاطمة ما رأيُها برأيك؟

بدرية: هي تغفلُ ذلك ولا تهتم بشيء.

الجدّة: نِعمَ البنتُ فاطمة.

بدرية: حفِظها اللَّه.

فاطمة مداعبة: ها قد جاء الطعام ثُمَّ وضعتهُ على المائدة وأضافت.. هيّا لنلتهمهُ اِلتهامًا.

تناولنَّ الطعام، ثُمَّ أخذت فاطمة تقرأ على بدرية بعضًا من قِصار سور القرآن الكريم، وبدرية تُنصت ثُمَّ تُردد ما سَمِعَت.

مَضى شهر على ذلك اليوم، وقد حَفِظَت بدرية الجزء الثلاثونَ من القرآن الكريم؛ نظرًا لإحتوائه على قِصار السور فأحبّت فاطمة أنْ تبدأ بهِ معها.

صباحُ الخير يا هذه.

صباحُ الخير.. نعم ماذا تُريدُ حضرتُك؟

ما اسمكِ؟

ماذاااا؟!

لا تُخطيء الفَهم.

اسمي بدرية.

وأنا هشام.

أُريدُ أنْ أسألكِ عن فاطمة؟

وماذا تُريدُ منها؟

أُريـــدُ أنْ أتحـــدّث إليهـــا ونيّتـــي خيـــر واللَّهُ يعلم.

بدرية فَرِحةً: أتنوي زواجها؟

هشـــام مُبتســـمًا: أجـــل ولكنّـــي لـــم أتعـــرّف عليها بعد.

بدريـــة: لا تقلـــق، ففاطمـــة لا مثيـــل لهـــا ذات ديـــن وخُلـــق، وتتقـــي اللَّه، وطيّبـــة وحنونـــة وجميلة.

هشام: ما شاء اللَّهُ لا قوة إلَّا باللَّه.

بدريـــة: ســـأتركها اليـــوم وأذهـــب بمفـــردي بعد انتهاء العمل، فلتغتنم الفُرصة.

هشام: شكرًا لكِ بدرية.

وصـــلت الحقـــل وبـــدأت العمـــل دونَ أنْ توضح سبب تأخُرها لفاطمة.

فاطمة: بدرية لِمَ تأخرتِ اليوم؟

بدرية: لا تشغلي بالكِ حبيبتي.

اِنتهى العمل وحان وقت العودة إلى البيت.

بدرية على عجلٍ: سامحيني فاطمة فسأذهب لديار العُمدة فزوجته تُريدُني في خَطبٍ ما.

فاطمة: لكِ العُذر أُخيّتي.. أأنتظرُكِ؟

بدرية: لا فلرُّبما تأخرتُ فلتذهبي أنتِ ولتُبلّغي جدّتُكِ منّي السلام.

فاطمة: حسنًا.. كما تُريدين.

بِسْمِ اللَّه، توكلّتُ على اللَّه، ولا حول ولا قوة إلَّا باللَّهِ العليّ العظيم.

من فضلكِ يا فاطمة.

استدرات لتَرى ثُمَّ سألته: مَن أنت؟..

وكيف عَرفت اسمي؟

وماذا تُريدُ منّي؟

أنا هشام ابن مراد بيه، وكيف لا أعرفُ مَن اِشتهرت بالأخلاقِ والتقوى والجمال، أُريدُ إخباركِ بأنَّي أُحبّكِ وأذوب عِشقًا فيكِ.

فاطمة مُتلعثمة: ماذا؟.. ماذا تقولُ أنت؟

هشام: أقولُ ما يُخبرُني بهِ قلبي فلتسمعي نبضاتهِ مقتربًا منها.

فاطمة غاضبة: فلتتقي اللَّهَ يا هذا.

هشام: وماذا فعلتُ؟ .. أُريدُكِ زوجتي.

فاطمة: ماذا.. ماذا قلت باللَّهِ عليك؟

هشام: قلتُ أُريدُكِ زوجتي.

فاطمة: ولماذا لم تأتي لجدّتي طالما أردتني زوجتُك؟

هشام: سأفعل ولكنْ عندما أتأكد من حُبّكِ لي.

فاطمة: وكيف يحدثُ هذا؟

هشام: عندما نتعرّف على بعض أكثر وأكثر.

فاطمة: نتعرّف؟.. فأنت تعرفُني وأنا قد سمعتُ عنك.

هشام: ليسَ هذا ما قصدت.

فاطمة: إذًا فماذا قصدت؟

هشام: أقصد أنْ نتأكد من ميل قلبينا لبعض وهذا سيحدث مع الوقت.

فاطمة زاجرة: عن أيّ وقتٍ تتحدث هشام.. المعذرة فأنا لستُ كما تظن.

هشام: لم أقصد ما وصلكِ ، قصدتُ أنْ نتقابل ولو مَرَّة كُلّ أسبوع؛ كي تتآلف نفسينا ونتعود على بعضينا.

فاطمة تُفكّر.

هشام: بماذا تُفكّري، لا تخافي فأنتِ حبيبتي ورَّوحي، وستكونينَ زوجتي، وأُمّ أبنائي.

فاطمة في خجلٍ: باللَّهِ عليك لا تَقُل كلامٍ كهذا، فأنا لا أحتملهُ؛ إذ لم أسمعهُ من قبل.

هشام: ستسمعينهُ من قلب حبيبك وتُحبّيه.

فاطمة: دعني أذهب الآن.. أخشى التأخُر على جدّتي.

هشام مُبتسمًا: حسنًا.. ولكنْ لا تُخبري أحدًا بشيءٍ قبلَ أنْ أتقدّم لكِ رسميًا.

فاطمة: ولا حتّى جدّتي.

هشام: ولا جدّتُكِ كي تتفاجأ حينَ أتقدمُ لكِ.. أفهمتِ؟

فاطمة: حسنًا إذًا.. سلام هشام.

هشام: لا أردُ عليكِ.

فاطمة: ولِمَ؟

هشام: قولي سلام حبيبي.

فاطمة وقد اِحمر وجهُها: لا قبلَ أنْ تعقد عليَّ ثُمَّ أسرعت إلى البيت.

مَــرّت الأيَّــام وأضــحى هشــام حبيبًــا لفاطمــة قُرابة خمسة أشهُر.

هشام: فاطمة أُريدُكِ في موضوعٍ هام.

فاطمة: خيرًا هشام.

هشام: لا يُمكننا الحديث هُنا.

فاطمة: ولِمَ هشام؟

هشــام: لأنَّنــي ســأُحدّثُكِ بخصــوص زواجنــا ومستقبلنا وأخشى أنْ يرانا أحد.

فاطمة: إذًا ماذا سنفعل؟

هشام: تأتينَ معي إلى البيت.

فاطمة بعدما زجرته: ماذا تقولُ أنت؟

أنا لن آتي بيتك إلَّا بعد العقد عليّ.

هشــام: أهكــذا تظنــينَّ بحبيبــك الظنــون؟..

سامحكِ اللَّهُ حبيبتي.

فاطمة: إذًا ماذا تقصد؟

هشـــام: أقصـــدُ أنْ نتحـــدّث ســـويًا عـــن مستقبلنا دونَ خوفٍ من أنْ يرانا أحد.

فاطمة: وأُمّك وأبيك وأُختك.

هشـــام: ســـيذهبون إلـــى بيـــتِ عمّـــي بـــالمركز في تمام الخامسة مساءً.

فاطمة: وكم سنتحدّث نحن؟

هشـــام: نصـــف ســـاعة علـــى الأكثـــر.. أكثيـــرٌ علـــى مســـتقبلنا والتخطـــيط لـــهُ نصـــف ســـاعة مِنكِ؟

فاطمة: وبعدما نتحدّث؟

هشـــام: تـــذهبينَ لجـــدّتُكِ وبعـــدها بأيَّـــامٍ أتقـــدمُ لكِ.

فاطمـــــة: حســـــنًا.. فليـــــوفقني اللَّهُ إنْ كـــــانَ بهذا المشوارِ خيرًا.

جَمَـــعَ أصـــحابه وأخبـــرهم بأنَّـــهُ قـــد وَفّـــى بوعـــدهِ قـــائلًا: أيُّهـــا الشـــباب أُريـــدكم اليـــوم ببيتـــي فلقـــد أحضـــرتُ لكـــم مـــا تطيـــب لـــهُ أنفسكم.

سأل أحدهم: وماذا أحضرت يا هشام؟

هشـــام: ســـتأتي إلينـــا فتـــاة بعـــد نصـــف ســـاعة مـــن الآن، أُريـــدُ أنْ نعـــيش حياتنـــا معهـــا كمـــا نُريد.

سأل آخر: هشام أحقًا ما تقول؟

أجل وسترونَ بأعينكم وتلمسون بأيديكم.

وهُنا عَلا صوت رنين هاتفهِ الذكي اِستأذنَ منهم ليَرُدَّ عليه.. نعم أُمّي ماذا تريدين؟

الأُمّ: قد اِتصلتُ بك مِرارًا ولم تنتبه.

هشام: أجل لأنّي مشغول.

الأُمّ: فلتعلم أنَّ أباكَ قد تعب وتَمَّ نقلهِ للمستشفى.

هشام: أنا آتٍ إليكِ أُمّي.

يا رفاق ستأتيكم الفتاة فلتفعلوا بها ما تشاءون كما تشاءون حتّى آتيكم لأفعل بها ما فعلتم، أمَّا الآن فسأذهبُ، البيتُ لكم والفتاة مِلككم.

جدّتي ما بكِ؟ .. ألم تهدأ الحُمى بعد؟

الجدّة: الحمدُ لِلَّهِ على كُلّ حالٍ فاطمة.

فاطمة: سأذهب لإحضار الطبيب.

الجـــدّة: وعَـــلَام بُنيّتـــي؟.. لا تُتعبـــي نفســـكِ فأنا بخير.

لـــم تهـــتم فاطمـــة بكـــلام جـــدّتها وذهبـــت إلـــى الوحـــــدة الصـــــحيّة بقريتهـــــا وأحضـــــرت الطبيـــب الـــذي أمـــر بنقلهـــا إلـــى المستشـــفى؛ لتلقـــي الرعايـــة الصـــحيّة هُنـــاك، ورافقتهـــا فاطمة.

ذهـــبَ هشـــام إلـــى المستشـــفى ومـــا أنْ وصـــلَ حتّى سألتهُ والدته: أين أُختك؟

هشام: لا أدري أينَ هي.. أليست هُنا؟

الأُمّ: لا ليســـت هُنـــا، فحـــينَ لـــم تـــرُد علـــى هاتفك أرسلتها إلى البيت؛ كي تجدك.

هشام مذعورًا: ماذاااااااا.. البيت؟

ثُـــمَّ ذهـــبَ مُســـرعًا بقيـــادة ســـيارتهِ حتّـــى وصـــلَ، فَـــتَحَ البـــاب ودلـــفَ ليلقـــى المفاجـــأة؛ أُختـــه مُلقـــاةٍ علـــى الأرض غارقـــةٌ فـــي دمائهـــا، بعـــدما فَعَـــلَ بهـــا أصـــدقاءهُ مـــا يشـــاءون كمـــا أمـــرهم هـــو.. أخـــذ يصـــرخ ويصـــرخ ويصـــرخ حتّـــى أدركـــهُ بعـــض الرجـــال، فغطـــوا أُختـــهُ ورافقـــوهُ فـــي الـــذهاب بها إلى المُستشفى، وهُناكَ عَلِمَ بوفاتها.

مـــرّت الأيَّـــام وعَلِمَـــت فاطمـــة أنَّ منَـــع اللَّهِ عطـــاء؛ فقـــد أعطاهـــا الســـتر وحفـــظ الشـــرف حـــينَ قَـــدّرَ منعهـــا عـــن موعـــد هشـــام، كمـــا أيقنـــت بـــأنَّ الحُـــبّ الـــذي يبـــدأ بغيـــرِ رضـــا اللَّه مُنتهـــاهُ الحســـرة والنـــدم، فَحَمِـــدَت ربِّهـــا كثيرًا على ما قَدّر.

أبو أهله

دلـــفَ بهـــدوءٍ لثِقـــلِ حملـــه ثُـــمَّ وضـــعَ مـــا يحملـــهُ علـــى الطاولـــة وألقـــى الســـلام بصـــوتٍ مســـموعٍ فجـــاءوهُ تباعًـــا.. يـــا قـــوم هَلُمُّـــوا إليَّ فقد جاءت طلباتكم.

وعليكم السلام.. أُمّي قد جاء يحيى.

يحيى أشرقت الأنوار.

حسنًا.. فاطمة، زهران تَرَيَثًا.

يحيى: أُمّي كيف حالُكِ حبيبتي؟

الأُمّ: بخيرٍ والحمدُ لِلَّهِ وأنتَ بُنيّ؟

يحيى: بخيرٍ ما دُمتم بخيرٍ أُمّ يحيى.

زهران: أُستاذ يحيى أينَ أشيائي؟!

يحيى مُبتسمًا: تفضّل بشمهندس زهران.

أخـــذ زهـــران أشـــياءهُ تفحصـــها ثُـــمَّ احتضـــن يحيى وأضاف: لا حرمنا اللَّهُ إيَّاكَ أخي.

يحيـــى: طبيبـــة فاطمـــة تفضّـــلي أهـــذا مـــا طلبتِ؟

تَفَحصَـــتهُ ثُـــمَّ قبَّلـــت يحيـــى وأردفـــتْ: دُمـــتَ لي أخًا وسندًا وتاجًا على رأسي.

الأُمّ : آمين يا ربّ العالمين.

يحيـــى مُقـــبّلًا رأس أُمّـــه: مِســـكُ الختـــام أُمّ يحيى.. هذه أشياؤكِ تفضّلي.

الأُمّ: سَلِمتَ بُنيّ، لكنَّي لم أطلب شيئًا.

يحيى: وهل أجهلُ ما ينقُصكِ أُمّي؟!

الأُمّ: جـــزاك اللَّهُ خيـــرًا بُنـــيّ.. يحيـــى أَمَـــا آن لك أنْ تتزوج؟

يحيى: بعدَ أنْ يتخرّج زهران من كلية الهندسة وتتخرّج فاطمة من كُلية الطب سأفعل.

الأُمّ: أعانك اللَّهُ ولدي وزادك من فضله.

مَرّت السنون وتخرّج زهران ليُصبح مهندسًا ثُمَّ التحق بوظيفةٍ في إحدى شركات المقاولات، وبقيَ القيل لتتخرّج فاطمة من كلية الطب، ولا زالَ يحيى يعمل دونَ كَللٍ أو مَلل، ولم يُفكّر في الزواج.

يحيى صباحُ السعادة.

صباحُ الخير حسن.

حسن: يحيى ألا ترحم نفسك من العمل ليل نهار؟

يحيى: وما المُتعبُ في ذلك؟

حسن: أنت هُنا تحملُ هَمَّ الشركة كُلّهُ على عاتقك وكأنّهُ لا يوجد مُحاسب غيرُك، وهُناكَ تحملُ هَمَّ البيت كُلّهُ مُنذُ وفاة أبيك وإلى الآن.

يحيى: وماذا تُريدُني أنْ أفعل؟

حسن: فَكّر بنفسك قليلًا، يومًا ما سيتزوج زهران وكذلك فاطمة ووالدتُك لديها معاشُ أبيك، إذًا أينَ أنتَ مِن كُلّ هذا؟

يحيى: أنا فَرحةُ زهران وفاطمة، وأملُ أُمّي، وهذا يكفيني.

حسن: حسنًا إذًا.. كما تُريد.

زهران أتأذنُ لي بالدخول؟

تفضّلي يا طبيبة.

أودُّ الحديثَ معك فهل لديك وقت؟

نعم، تحدّثي كيفما شئتِ فاطمة.

فاطمة: زهران أَمَا آن لنا أنْ نُريحَ يحيى؟

زهران: كيف؟

فاطمة: نُريحهُ من مصروفاتنا، فأنتَ الآن موظفٌ ولكَ راتبٌ شهري، وأنا شهرين وسأتخرّج وأعمل، وأُمّنا لديها معاشُ أبينا.

زهران: الحقُّ معكِ فاطمة، فمذ تُوفيَ أبانا ونحنُ في المرحلة الإبتدائية ويحيى مُتكفلٌ بنا، ولم يتركنا ولم يُفكّر حتّى في نفسه.

فاطمـــــة: صـــــدقتَ زهـــــران، والآن لنُفكّـــــر كيف نجعل يحيى يُفكّر بنفسه؟

زهــران: الليلــة علــى العشــاء نعــرض عليــه فِكرة الزواج وكأننا نُمازحهُ.

فاطمة: اِتفقنا بشمهندس.

حَـــلَّ المســـاء وأتـــى يحيـــى ليجتمـــع بأُمّـــه وأخويهِ على مائدة الطعام.

يحيـــى وقـــد نظـــر لتنـــوع الطعـــام: سَـــلِمتَ يداكِ أُمّي.

الأُمّ: بالهناء والشفاء بضعة قلبي.

فاطمة: تفضّل الحساء أبا يزيد.

يحيـــى بعـــدما وضـــعَ الحســـاء جانبًـــا: أبـــا يزيد.. ماذا؟

زهـــران: لـــيسَ أبـــا يزيـــد بـــل أبـــا أهلـــه كمـــا يُلقبُهُ الجيران.

يحيى مُندهشًا: فاطمة.. زهران ما بِكما؟

فاطمـــة مُداعبـــةً: أُريـــدُ أنْ أُصـــبح عمَّـــةً أبـــا يزيد.

زهـــــران مُنشـــــكحًا: وأنـــــا أُريـــــدُ أنْ أراك عريسًا ليفرح قلبي.

يحيى: هكذا إذًا تُريداني أنْ أتزوج.

الأُمّ: ولِمَ لا حبيبي؟

يحيـــــى مُبتســـــمًا: لـــــيسَ قبـــــل أنْ أُزوّج الطبيبة والبشمهندس.

فاطمة وزهران: ولكن.....

يحيى مُقاطعًا: قُضيَّ الأمر، والآن اسمحوا لي أنْ أخلُدَ إلى النوم، تُصبحونَ على خير.

ردّوا جميعًا: وأنتَ من أهله.

مَرّت الأيَّام على رفض يحيى لحديث أخويه ولكنَّهما لم ييأسا.

زهران: طبيبة فاطمة أتأذنينَ لي بالدخول؟

تفضّل بشمهندس.

زهران: فاطمة هذا راتبي كما اتفقنا تفضّلي.

فاطمة: أأخذت منهُ مصروفك؟

زهران: لا، فلديَّ مصروفي الذي أعطانيه يحيى.

فاطمة: حسنًا إذًا، وهذا ما ادّخرتهُ في الأشهُر الماضية؛ سنضعهم في هذا الصندوق ونضعهُ في خزينة ملابسي هذهِ حتّى يكتمل المبلغ الذي نُريد.

زهران: حسنًا إذًا.

انقضى عامان وتخرّجت فاطمة وتَعيَّنت مُعِيدَة بكلية الطب، وارتقى زهران في عملهِ وزاد مُرتبه.

فاطمة هيّا لنفتح هذا الصندوق.

حسنًا ها هو المِفتاح زهران تفضّل.

زهران: بِسْمِ اللَّهِ ماشاء اللَّه.

فاطمة: هيّا لنعُدّهم.

وبعد دقائق نظر إليها زهران وأضاف:معي خمسونَ ألفًا وأنتِ؟

فاطمة وقد أنهت عدّهم للتو: معي مائة ألف جُنيه، إذًا ماذا سنفعل؟

زهران: نُعطي هذا المبلغ ليحيى؛ كي يُعِدَّ به نفسهُ للزواج.

فاطمة: إذًا هيّا بنا إليه.

زهران: حسنًا.

دلفا غُرفة المعيشة حيثُ يحيى يتسامر مع والدته، وما إنْ رأهم حتّى هَشّ لهُما وبَشّ، وحيّاهما مُبتسمًا: أهلًا أهلًا بالطبيبة والبشمهندس أحبابُ قلبي.

وضعت فاطمة الصندوق على الطاولة أمامه ثُمَّ جلست عن يمينه وجلس زهران عن يساره.

نَظرَ إليهما ثُمَّ ضَمَهما إلى صدره.

فاطمة: يحيى أنتَ تعلمُ كَم نحنُ نُحبُكَ، ونرجو رضاك.

زهران: ولهذا قُمنا بجمع بعض المال في هذا الصندوق، ثُمَّ أمسك الصندوق وقَدَّمهُ ليحيى قائلًا: تفضّل هو لكَ، لتُعِدَّ نفسك للزواج في القريب العاجل، قد أعطيتنا عُمرك ومالك ومهما فعلنا فلن نَفِيَكَ بعضُ حقك.

فاطمة مُردفة: أجل.. ولنفسك عليك حقٌّ أنْ تتزوج، وحقّنا نحنُ أيضًا أنْ نفرح بكَ، ثُمَّ نظرت إلى أمّها سائلةً: أَم ماذا أُمّ يحيى؟

الأُمّ: الحقُّ معكما، حسنًا فعلتما، ثُمَّ نظرت إلى يحيى وقالت له: لا تردّ

أخويـــك وأفعـــل مـــا أردنـــا ليرضـــى عنـــك ربّي.. بُنيّ لا تردّنا.

نظـــر إلـــيهم يحيـــى مُبتســـمًا: حســـنًا أُمّـــي، فلتخطبـــي لـــي أنـــتِ وقبَّـــل رأسُـــها، ثُـــمَّ احتضـــن زهـــران وفاطمـــة وأضـــاف: الحمـــدُ لِلَّهِ أنَّ عمري لم يضع هدرًا.

وبالفعـل خطبـت لـه أُمّـهُ فتـاة ذات دِيـن، ثُـمَّ تزوجـا بعـد شـهرين فكانـت نِعـمَ الزوجـة لنِعمَ الزوج.

مَـرَّ عـامٌ علـى الـزواج ووضـعت سّـارة زوجُ يحيـى مـا حملـت بـه بعـد ثلاثـةُ أشـهُرٍ مـن الـزواج؛ ليُصـبح يحيـى أبـا يزيـد بـدلاً من أبا أهله.

وبعـد بضـعة أشـهر أسـس يحيـى وزهـران شـركة مقـاولات وبنـاء وفـتحَ اللَّهُ عليهمـا

مــن الــرزق مــا جعــل يحيــى يُــزوّج زهــران ومــن بعــدهِ فاطمــة، ثُــمَّ ســافر بأُمّــهِ ليحُجّــا بيت اللَّهِ الحرام.

رداء سُليمان

وُلِـــدَ بريئًـــا مـــن خَبَـــث الـــدُّنيا، طـــاهرًا مـــن خُـــدعها، نظيفًـــا مـــن مكرهـــا؛ تُـــرى ســـيظلُّ هكـــذا أم ســـيُغير فطرتـــهُ النَقيّـــة كـــي يتعـــايش مع أهلها؟!

خالد حبيبي لماذا تجلسُ وحيدًا هكذا؟

خالـــد: لا شـــيء أُمّـــي.. فقـــط أُريـــدُ أنْ أختلـــيَ بنفسي بعض الوقت.

الأُمّ: بُنـــيّ أراك تُحِـــبُّ العُزلـــة وهـــذا لـــيسَ جيّدًا لك.

خالـــد: لا تقلقـــي أُمّـــي، كُـــلُّ مـــا فـــي الأمـــر أنَّـــي مُنشغلٌ بالتفكير في أمرٍ ما.

أُمّ خالد: وما هو بُنيّ؟

خالـــد: أُفكّـــرُ كيـــف ســـأعيشُ بهـــذه القريـــة التي لا تُناسبني و.....

أُمّ خالـــد مقاطعـــةً: ولِـــمَ لا تُناســـبُكَ وذوي قُربتُنا هم جيراننا ولا غريب بيننا؟

خالـــد: أُمّـــي لا أقصـــد هـــذا ولكـــنْ مـــا قصـــدتهُ هـــو أنَّـــي لا أُحـــبُّ أنْ أكـــونَ بجـــوار مَـــن هـــم أكبـــرُ منّـــي عُمـــرًا وعمـــلًا حتّـــى وإنْ كـــانوا ذوي قربتي.

أُمّ خالـــد: اســـتَعِذ بـــاللَّهِ بُنـــيّ، يـــا ليـــتَ للنّـــاس أقربـــاء كـــذوي قربتـــك، أنـــت فـــي نِعمـــةٍ لا تعلمُ قدرها.

خالـــد: بـــل فـــي نقمـــةٍ أُمّـــي طالمـــا ذوي قربتي أحياء!

أُمّ خالـــد: بـــخٍ بـــخٍ علـــى مـــا حملـــت بطنـــي، أتُريدُ الهلاك لذوي قربتك؟

خالـــد: لا تقلقـــي أُمّ خالـــد، لا أُريـــدُ لهـــم الهـــلاك ولكـــنْ أُريـــدُ أنْ لا أُجـــاورهم أو يرحلوا هم.

أُمّ خالـــد مُنهـــارةٌ مـــن البكـــاء: خالـــد أنـــتَ عـــاقٌّ لـــذويك مُـــذ كنـــتَ شـــابًّا وإلـــى الآن بعـــدما أصـــبحتَ راشـــدًا ولـــديك زوجـــة وأبناء لازلت تحقدُ عليهم.

خالد: وما عساني أنْ أفعل أُمّي؟

أُريـــدُ أنْ يظهـــر بيتنـــا كبيـــرًا ولـــو شـــكلًا، حتّـــى فـــي هـــذا لا مكـــان لـــي بيـــنهم؛ فبيـــوتهم شـــاهقة ضـــخمة شاســـعة المســـاحة، يكـــاد مَن يراها يظنُ بيتنا أحد أعمدتُها.

أُمّـــي قَتَلنـــي القهـــر ولا أدري مـــاذا أفعـــل كـــي يظهر بيتنا ونظهر نحن؟

أُمّ خالد: اِحمد اللَّهَ بُنيّ على ما أنتَ فيه من نِعَم، ولا تنظر لمَن فُضّلوا عليك ولكنْ انظر إلى مَن هم دونك.

خالد: تُصبحينَ على خيرٍ أُمّي، سأذهب للنوم.

أُمّ خالد: هداك اللَّهُ بُنيّ.

أبا مُحمّد ما بك هذه الليلة؟

خالد لزوجته: لا عليكِ أُمّ مُحمّد، أُفكّرُ في بعض الأمور.

أُمّ مُحمّد: وهل يجوزُ لي أنْ أُشاركك إيّاها؟

خالد: لا أُمّ مُحمّد، لا أُريدُ إتعابُكِ يكفي ما تُلاقيه من الأبناء.

أُمّ مُحمّد: لكَ ما شئت، أتُريدُ منّي شيئًا قبل أنْ أنام؟

خالد: شكرًا حبيبتي، تُصبحينَ على خير.

أُمّ مُحمّد: وأنت من أهل الخير أبا مُحمّد.

كل يومٍ يَكبُر عمّي معبد وتزداد شهرتهُ وعراقتهُ وكذلك عمّي سيف الجميع يُحبّهُ فماذا عنّي؟

ماتَ أبي وتركني مع إخوته الغالين على قلبه، ماذا أفعل كي أشتهر ويُذاع صيتي؟

أأُسايسهم؟

ولكنَّ السياسة معهم لا تُجدي نفعًا، إنْ خاصمتهم وقاطعتهم خسرتُ كُلّ شيء؛ فتسعونَ في المائة من حياتي وأهلُ بيتي

قـــائمٌ علـــى علاقتـــي بعمّـــايَّ، إذًا مـــاذا سأفعل؟

نَعـــم وجـــدتُها "فَـــرِّق تَسُـــد" ســـأعملُ علـــى هذا في الخفاء؛ حتّى لا يعلم بأمري أحد.

رَكـــزّ خالـــد علـــى العـــداوة القديمـــة بـــين عمّـــاهُ والتـــي تكوّنـــت نتيجـــة الحقـــد أيضًـــا؛ فالحقـــدُ يُوَرث كما الإرث.

بحـــثَ خالـــد عـــن أعـــداء عمّـــاهُ والـــذين هـــم بـــالطبع أعـــداؤه وخطـــط معهـــم لتـــدمير عمّـــهِ معبـــد وهـــو العـــم الأكبـــر لـــهُ وتركيـــع عمّـــهِ سيف وهو الثاني والأكبرُ من أبيه أيضًا.

دَبّـــرَ خالـــد مـــؤامرة ثُلاثيـــة الأطـــراف باشـــتراكه فيهـــا مـــع ألـــدّ أعدائـــه وهمـــا هيكـــل والأسود.

خالـــد: سَـــيّدي هيكـــل أعتـــذرُ عـــن أي تجـاوزاتٍ فـي حقّكـم مـن قِبـل أبـي _رحمـهُ اللّه_ فكمـا تعلمـون كـان مُتيّمًـا بحـبّ إخوتـهِ ووحدتُهم.

هيكل: رحمهُ اللّه، وماذا عنك أنت؟

خالـــد: أنـــا مُتكـــافيءٌ معكـــم فِكريًـــا فعمّـــايّ وبَنِيهم لا يستحقّونَ ما بهم من نِعَم.

الأسود: أهلًا، أهلًا، أهلًا أبا مُحمّد.

هيكل مُقاطعًا: وماذا تُريدُ أنْ نفعل بهم؟

خالـــد وقـــد أراحَ ظهـــرهُ إلـــى مســـند مِقعـــده: أُريـــدُ أنْ أراهـــم أقـــزام لا تُـــرى ســـوى بـــالعين المُجـــرّدة، أُريـــدُهم جيـــاعٌ عُـــراة، أذلاء خـــائنون فيمـــا بيـــنهم، وقبـــل كُـــلّ هـــذا أُريـــدُ هـــدم بيـــوتهم الشـــاهقة كمـــا أنـــوفهم العاليـــة، وكـــذا أُريـــدُ مكـــانتهم تُسَـــوَّى بـــالأرض.

الأسود: مرحبًا بك خالد فقد وصلت المكان المناسب في الوقت المناسب!

هيكل: سنفعلُ بهم ضعفَ ما تُريد، ولكنْ يُراودُني سؤال أجبني عليه: لماذا كُلّ هذا وهُم رَحِمُكَ وذويك؟

خالد: لأنَّني أحمُلُ لهم الحِقد والحسد لِعُلُّوِ شأنهم.

اِتفقَ الأسود وهيكل وخالد على تدمير معبد وإذلال بنيه، وإجاعتهم وقتل رجولتهم، وكسر نفوسهم، كما اِتفقوا على إخضاع سيف وبنيه لخالد يفعلُ بهم ما يحلو لهُ.

ظَلَّ خالد يفتكُ بذويه بمعاونة أعدائه حتّى دَمَّر عمّهُ معبد وأَذَلَّ بَنِيه، وأَخضَعَ عمّهُ سيف لطمَعِهِ في بيته، وحَدَثَ لخالد

ما كان يرجو؛ فبيوت عمّاهُ قد هُدِمَت ورجولة بَنوهم قد قُتلت، ونفوسهم قد كُسرت وأمتهنوا الخيانة فيما بينهم، وتَسَوَوا بالأرض حقًّا؛ ليُصبح بيت خالد هو القائم على أنقاض بيوت عمّاهُ.

وقد تغير الحال فبعدما كان يعيش خالد في كنف عمّاهُ أصبح بنو عمّومته _الميتون وهُم أحياء _يعيشون على معونة خالد والتي يتفضل بها عليهم _ كما يقول بنوه_كما يستترون بملابس خالد البالية من كثرة استخدامها من قبل، ظلّوا هكذا إلى أنْ حَدَثَ ما لم يكن ببال.

أغثني أبا مُحمّد، وا شرفاااااااه.

خالد مذعورًا: ماذا حدث أُمّ مُحمّد؟

أُمّ مُحمّد: كاد أنْ يَلحق بنا العار لولا...

خالد مُقاطعًا: العار.. ماذا حدث؟

أُمّ مُحمّد: إحدى بناتُك كانتْ تسير في شوارع القرية طلبًا للفُسحة، وأثناء سيرها رأها أحد جنود هيكل والأسود حليفاك فسار وراءها وأوقفها مُهدّدًا إيَّاها بسلاحه _الذي دفعت لهم ثمنهُ _ فوقفت خائفة تَبكي، دفعها الجُنّدي فسقطت على الأرض وصرخت فسمعها ابنُ عمّها سُليمان فقاطعها خالد: سُليمان ابنُ حمزة ابنُ عمّي معبد؟

أُمّ مُحمّد: نعم هو لا غيره، سمعها سُليمان وهو لا يدري إنْ كانتْ ابنةُ عمّه أم لا، فقط أتى على صوت صُراخ امرأة تستغيث لنجدة شرفها، ألقى الجُنّدي

الحليف سلاحهُ وقبلَ أنْ يَنقضَّ على ابنتُك انقضَّ عليه سُليمان؛ وأبرحهُ ضربًا وقطع أحد أصابع يده بأسنانه، ثُمَّ تفلهُ على وجهه الخبيث الماكر، ثُمَّ قام إلى ابنتُك فساعدها على القيام وخلع رداءه وسَتَرَها به، وأخرجها أولًا وقبلَ أنْ يخرج هو سقط شهيدًا على الأرض غارقًا في دمائه؛ من كثرة ما أُطلق عليه من رصاص الجُنّدي الحليف، فلمّا رأت ابنتُك هذا المشهد صُرِعَت وإلى الآن تُصرَع.

أراك صُدِمتَ خالد.

خالد: أمات سُليمان؟

أُمّ مُحَمّد: لا تقُلْ مات بل استُشهد وهو يُدافعُ عن عِرضك، أمَّرُ ما في الأمر

ليس تحالفك معهم ودفع ثمن أسلحتهم وإبقائهم في قريتنا، أمَّرُ ما في الأمر أنَّ رداء سُليمان والتى تستترُ به ابنتُك إلى الآن هو رداؤك القديم البالي الذي تتفضّل به على بني عمّك وبَنوهم؛ هذا الرداء يكشفُ أكثر ممّا يستر، ولكنْ هذا هو الموجود فلو لسُليمان خيرًا منهُ لستر به ابنتُك، اللومُ عليك أنتَ خالد فلو أعطيتهم ملابسًا جديدة تليقُ بهم لسُتِرَ لحمُ ابنتُك المكشوف بعضهُ الآن.

خالدٌ قد أخطأت في حقّ ذويك حين حقدت عليهم، ومن قبلُ أخطأت في حق نفسك حينَ لم تدع لنفسك فرصة لتُحبّهم كما كانوا هم يُحبّونك، لم يفت الأوان لتُصححَ خطئك ما دُمتَ حيًّا.

أخذ خالد يسترجع ما كانَ بين أبيه وعمّاهُ من وُدٍّ ورحمة ورأفة فيما بينهم واتحادهم على عدوهم وتذكّر قول أبيه لهُ: "أي بُنيّ، عليك أنْ لا تأمن لعدوك مهما غَرَكَ تعامله معك، فهو الخائنُ الغادر الخبيث الماكر، إلزم عمّومتك أطِع أمرهم وكَبِّرهم واكبر معهم، واتقي الله في نفسك وفيمَن حولك، وارضى بما قسم اللَّهُ لك تعِش مُطمئنًا مُرتاح البال، خالد أُوصيك بتقوى الله في الأمور كلّها وصِلة رحمي فأحبّهم ووِدّهم ".

لم يتمالك خالد نفسهُ فبكى، وذهب إلى مكان الشهيد؛ حيثُ سُليمان غارقٌ في دمائه!

وصـــل ومـــا أنْ رأى سُـــليمان فأنكّـــبَ عليـــه باكيًا ومُقبّلًا ومُرتجِلًا:

آهٍ و آهٍ الفُ آهٍ على

مَن جاد عليَّ بروحهِ وتَفَضَلا

حَمى عِرضي وغَطى لحمي

بردائهِ المُهلهلا

سُليمانُ ابني قتلهُ الحليف

الغادرُ الخبيثُ والماكرا

أهلي وددتُ أعدائهم

ووُدّي بهم قد تَقَطَعا

أخطأتُ حينَ تركتُ عَرين قومي

لأحتمي بجُحرٍ لا تَرضى بهِ النّملة مَخبَأَ

ومِن مَن أحتمي من أهلي

مِن مَن أنا منهم لحماً ودَمَا

أهذا ما رُبِيتَ عليه أبا مُحمّدٍ؟

بخٍ بخٍ لكَ خالدا

سُليمانُ ابني لا عدوي

بئسًا لكما هيكلَ وأسودا

بئسًا لي لرضوخي لكما

دمّرتُ أهلي مَقامًا ومَنزلا

آهٍ و آهٍ الفُ آهٍ على

مَن جاد عليَّ بروحهِ وتَفَضَلا

آهٍ و آهٍ الفُ آهٍ على

مَن ضَّحى لأجل عمّهِ الخائنا

آهٍ و آهٍ الفُ آهٍ على

مَن كان يعذرُ عمّهِ الحاقدا

آهٍ و آهٍ الفُ آهٍ على

مَن كان يدعو اللَّهَ أنْ يهدي عمّهِ العاصيا

وداعًا وحُبًّا وشوقًا

للشهيد ذو الوجه المُتهللا

سامحني ابنُ أخي

فقد اتيتُكَ نادمًا مُستسمحا

سلامًا سلامًا ابنُ أخي

اتيتُكَ مُودّعا

فوداعًا وداعًا

سُليمانَ الطيّبا

ربّاهُ يا مَن رفعت بلا عمد السما

يا مَن يسجُدُ لك الشجر والأنجُما

ربّاهُ يا مَن تفرحُ بتوبة عبدك العاصيا

أتيتُ بابك فما مِن

بابٍ في وجهي إلا وقد أُغلقا

إلا بابك ربّي

فدائماً مفتوحاً لا مُغلقا

أتيتُك ربّي عاصيًا مُذنبا

نادمًا أفقتُ مؤخرًا فأصبحتُ الآن مُدركا

أسألك ربّي باسمك التوّاب

أنْ تتوب عليّ وتغفر لي وأنْ تُمتني تائبا

يا ربُّ صَلِّ وسلّم عدد حبات الرمال ومياه الأنهار والبحار والأمطار على سيدنا مُحمّدا.

قام خالد ودفن سُليمان ثُمَّ ذهب إلى عمّاهُ فسلّم عليهما فلم يردا عليه السلام فأنكبَّ على أقدامهما نادمًا مُستسمحًا.

نظر معبد إلى سيف في إشارةٍ منهُ بمسامحة بُنيّهم الصغير ما دام مُعترفًا بخطئه ساعيًا لتصحيحه، أقاماهُ واحتضناهُ معًا ثُمَّ جمَّعوا بَنوهم لوضع خُطة لطرد هيكل وأسود من قريتهم؛ وقد كان.. فذهب خالد إلى الحليفان وألغى إتفاقهِ معهما وأمرهما بالخروج من قريته إلَّا أنَّهما لم يوافقا وكادا يقتلانه برصاصهم؛ حينها ابتعد خالد قليلًا فإذ بالقرية كُلّها خلف ظهره مُتسلحينَ بإيمانهم باللَّهِ مُتحِدينَ.. فَرَّ هيكل وأسود هَارِبَينِ بجنودهما ممّا رأوهُ من قوة أهل القرية.

أعـاد خالـد الأمـوال التـي جَمَعَهـا إلـى أهلـهِ وشـارك المهندسـين فـي بنـاء بيـوت عمّـاهُ لتُصبح أضخم ممّا كانتْ عليه.

ليتَ الزمان يعودُ يومًا

ليتَ الزمان يعودُ يومًا.. وا ذنبااااه!

عمّار ما بهِ هذا الهَرِم؟

عمّار: هذا الرجل جالسٌ هكذا مُنذُ سنوات، يُردد ما سَمِعتَ طه ثُمَّ يَبكي حتّى ينام!

طه: أَمَا لهُ بيتًا يأويهِ بدلًا من الجلوس على أعتاب المسجد؟

عمّار: بلى، أترى ذلك البيت المُزخرف ذو النوافذ الزجاجية؟

طه: أجل.

عمّار: هو بيته.

طه: ماذا؟

عمّـــار: تركـــهُ وجلـــسَ علـــى أعتـــاب المسجد.

طه: وهل يُعقل ما تقول؟

عمّار: هذا ما حدث؟

طـــه: إذًا وراءُ هـــذا الرجـــل قِصّـــة أظُنُّهـــا مُثيرة.

عمّار: ماذا يدورُ برأسكِ طه؟

طه: ستعلم حينَ يفيقُ هذا الرجل.

عمّار: أتعرفهُ؟

طـــه: لا، ولكـــنْ أُريـــدُ أنْ أعرفـــهُ، إذًا مـــا اسمه؟

عمّار: اسمه توبة!

طه وقد بدا مُستغربًا: توبة!

عمّار: أجل، عم توبة.

طـــه: حســـنًا، وســـنعلمُ مـــا قِصّـــةُ هـــذا الاســـم أيضًا.

عمّار: كما تُريدُ ابنُ خالتي.

اســـتيقظَ مـــن نومـــهِ ليُـــرددَ: مـــدد يـــا صـــاحب الجود والمدد يا ربّ.

طه ها قد فَاقَ عم توبة.

طه: حسنًا عمّار.

الســـــلامُ علـــــيكم عـــــم توبـــــة ورحمـــــةُ اللَّهِ وبركاته.

وعليكم السلام ورحمةُ اللَّهِ وبركاته بُنيّ.

اسمي طه ابنُ خالة عمّار.

عـــم توبـــة مُبتســـمًا: مرحبًـــا بـــك بُنـــي، عمّـــار شـــابٌ صـــالح لا تفوتـــهُ صـــلاةٌ فـــي هـــذا المسجد.

عمّار: بارك اللَّهُ فيكَ عم توبة.

طـــه: عـــم توبـــة هـــل لـــي أنْ أُجالســـكَ بعـــض الوقت؟

عم توبة تَفسَّحَ لهُ: كما تُريد ولدي طه.

عمّـــار: سأُحضـــر بعـــض الطعـــام فقـــد حـــانَ الغداء.

طه: حسنًا فعلت ابنُ خالة.

عم توبة: من أينَ أتيت طه؟

طـــه: مـــن الأزهـــر فـــي إجـــازتي الصـــيفية ثُـــمَّ أعودُ بعد اِنقضائها.

عم توبة: على خيرٍ تَعُد بُنيّ.

طـــه: أكرمـــك اللَّهُ عـــم توبـــة، أُريـــدُ أنْ أســـألكَ عن قولك: ليتَ الزمانُ يعودُ يومًا؟!

عــم توبــة: نعــم ليــتَ الزمــانُ يعــودُ يومًــا؛ كي أتُب من فِعالي.

طه: هل لي أنْ أعرفها عم توبة؟

عــم توبــة بعــدما ضــربَ كَفّــهِ بــالأُخرى: ســأقُصُّ عليــكَ قِصّــتي.. كنــتُ شــابًّا فتيًــا لا أمــل لــي فــي الحيــاة ســوى تحقيــق رغبــاتي وإشباع ملذاتي.

خُذي هذا المال كُلّهُ لكِ.

وما المُقابلُ توبة؟

توبــة بصــوتٍ حنــون: أنــتِ تســكنينَ قلبــي عفاف لذا أُريدُكِ لنفسي.

عفاف: خُذ مالك فلستُ أهلًا لذاك.

توبة: ولِمَ؟

عفـــاف: لأنَّنـــي لا أُتـــاجرُ بشـــرفي فأعصِـــي ربّي.

توبـــة: كيـــف تقـــولينَ هـــذا وأنـــتِ جائعـــة وفـــي حاجةٍ للمال؟

عفـــاف: نعـــم جائعـــة، لكنَّنـــي لا آكـــلُ بفرجـــي فهذا بغاء؛ واللَّهُ حَرَّمَ علينا البِغاء!

توبـــــة: أعلـــــمُ أنَّـــــكِ تُحبيننـــــي فلمـــــاذا لا تُمكّنينَّني من نفسكِ؟

عفاف: أمُسلمٌ أنتَ توبة؟

توبة: أجل.

عفـــاف: أنـــتَ تفعـــل مـــا نهـــى عنـــهُ الإســـلام فكيف بك من اللَّه؟

توبة: خُذي هذا المال بدون مُقابل.

عفاف: ولِمَ؟

توبة: لتعُفّي نفسكِ من سؤال النّاس.

عفاف: أأعُفَّ نفسي عن الحرامِ بالحرامِ توبة؟؟!!

توبة: ماذا تقولينَ؟

عفاف: أحلالٌ مالُك؟

توبة وقد وَلَّى ذاهبًا: دعيني وشأني.

عفاف: أنا أُحبُّكَ توبة وأُريدُك زوجًا لي وأبًا لأبنائي.

توبة وقد وقفَ مكانهُ: الآنَ إذًا.

عفاف: ليسَ قبل أنْ تَتُب إلى اللهِ وتُحلل مالك، وتُبغض ما نهاكَ ربُّكَ عنهُ، وتُحرّم على نفسك ما حَرَّمَ عليك.

غادرَ توبة دونَ رَدٍّ على ما قالت.

مَــرّت الأيَّــام وتوبــة مُــنغمسٌ فيمــا حَــرّمَ اللَّهُ عليه حتّى جاءهُ يومٌ غَيَّرَ لهُ حياته.

توبة.. توبة أنقذ شرفك.

توبة بعدما فتح الباب: مَن.. عفاف؟

عفاف مُرتجفة: دعني أدلف.

توبة: تفضّلي، ما الذي أصابكِ؟

عفــاف باكيــة: صــاحبُ البيــت راودنــي عــن نفسي حينَ لم أتمّكن من دفع الإيجار له.

توبة: وماذا فعلتِ له؟

عفــاف: نهرتــهُ فلــم ينتهــي وحــاولَ أنْ يَمَسَّ جسدي فدفعتهُ ثُمَّ هرولتُ إليك.

توبة: ألا تخافينَ منّي؟

عفــاف: منــك أنــتَ توبــة.. بــل علــى العكــس فمعك أجدُ الأمان.

توبــة وقــد دمعــت عينــاهُ: إذًا ســتنامينَ هُنــا خُذي راحتُكِ فإنّي مُغادر.

عفاف: إلى أين؟

توبة: إلى أيّ مكان.

عفاف: بل ستنامُ هُنا.

توبة:ولكن.....

عفــاف: لا تَقُــل شــيئًا، ســتنامُ أنــتَ هُنــا، وسأنامُ أنا في الداخل.

توبة: كما تُريدين.

مَضــى شــهرٌ علــى وجــود عفــاف ببيــت توبــة، وقــد تَغيّــرَ لمُجالســتهِ إيَّاهــا؛ فأصــبح مُصلّيًا وعاملًا بالحِدادة.

السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاتهُ عفاف.

وعلـــــيكم الســـــلام ورحمـــــةُ اللَّهِ وبركاتـــــهُ توبة.

كيف حالُكِ اليوم؟

عفاف: بخيرٍ والحمدُ لله، وأنتَ توبة؟

توبة: بخيرٍ ونعمة فالحمدُ لِلَّه.

عفاف: أجلبتَ لي ما طلبت؟

توبـــة: أجـــل، وزدتُ بهـــذا الـــورد الأبـــيض كما رَّوحكِ الطاهرة.

عفاف مُبتسمة: سَلِمت يداك توبة.

توبة: ما الغداءُ اليوم؟

عفاف: ما تُحبّ!

توبـــــة: إذًا ملوخيـــــةٍ خضـــــراء، وأرزٍ بشعيرية، وطاجن بامية بلحم الضأن.

عفاف مُبتسمة: هو ذاك.

توبة أَمَا آن لكَ أنْ تُصبحَ أبًا؟

توبة وقد أوقف تناول طعامه: ماذا قُلتِ للتو؟

عفاف بصوتٍ حانٍ: أَمَا آن لكَ أنْ تُصبحَ أبًا؟

توبة: وهل رضيتِ عنّي تاج رأسي.

عفاف بعدما ربتت على يدهِ بحنان: نعم وأُريدُ بقائي معكَ بقاءً شرعيًا.

توبة فَرِحًا: هل تقصدينَ أنْ.....

عفاف: نعم.. الليلة.

توبة: أحقًّا ما سَمِعَت أُذناي؟!

عفاف: نعم، فأنتَ زوجي مُذ عقدت عليّ حينَ دلفتُ بيتك؛ حتّى لا نقع في موضع شُبهة، ولكَ عليَّ حقٌّ أمام اللّه، لذا لا

أمنــعُ عنــك نفســي بعــد الآن؛ فقــد اِســتقمت التزمــت، ولا بُــدَّ لــكَ مــن مُكافــأة، إنْ وافقــت فالليلة.

توبــة بعــدما قَبّــلَ يــدها: أُوافــقُ حبيبتــي وروحِ قلبي.

مَــرّت تلــك الليلــة علــى توبــة كأفضــل ليلــةٍ عاشــها علــى الإطــلاق؛ إذ حقــقَ مــا يُريــد فأرضى ربَّهُ ونفسهُ وحبيبته.

مَــرَّ عامــان وقــد أنجــب توبــة وعفــاف ولــداً أسمياهُ عبّاس.

آهٍ.. آهٍ يا عبّاس.

ماذا حَدَثَ لهُ عم توبة؟

توبة: تركني وذهب وأُمّهِ طه.

طه: أينَ ذهبا؟

توبة: سأُكملُ لك...

توبة.. توبة قد أصابت الحُمَّى عبّاس.

أعطينيهِ لأذهبَ بهِ إلى الطبيب ليفحصه.

عفاف: هل سآتي معك؟

توبة: لا، ليسَ لديّ وقتٌ لأنتظركِ.

أسرعَ إلى عيادة الطبيب فدلفَ دونَ إذنٍ من المُساعد.

حضرة الطبيب عبّاسٌ أصابتهُ الحُمَّى.

الطبيب وقد نَهَضَ من مِقعدهِ: اهدأ قليلًا أبا عبّاس.

ثُمَّ فحصهُ ونظر لتوبة قائلًا: إنَّ اللَّهَ إذا أحبَّ عبدًا إبتلاهُ.

توبة: نعم، ولكنْ ماذا يعني هذا الكلام؟

الطبيب: قد أُصيبَ عبّاس بمرضٍ نادر، ولا علاج لهُ إلى الآن.

توبة: ماذا؟.. وبماذا أُصيب؟

الطبيب: أُصيبَ بمرضٍ يُسمونهُ بالسرطان، وهو مرضٌ نادرٌ هذهِ الأيّام.

توبة باكيًا: لم أشبع منهُ بعد.

الطبيب بعدما ربت على كتفه: دع أمرك لِلّه فهو المُدّبر لكُلِّ أمر.

توبة: رَضِيتُ بقضاءِ اللّه، حضرة الطبيب هل هُناكَ علاجٌ في غير مصر؟

الطبيب: نعم، يقولون بأنَّ أحد العُلماء في بريطانيا يستعدّ لتجربة دوائهِ على فئران التجارب؛ فإنْ صَحَّ فسيكونُ ببريطانيا فقط.

توبة: الحمدُ لِلَّهِ على كُلِّ حال.

عَادَ لبيتهِ شارد الذهن ممّا أقلقَ عفاف وجعلها تسألُه: توبة.. توبة ما بهِ عبّاس؟

لا شيء سوى العافية عفاف.

عفاف بعدما حملتهُ عنهُ: إذًا ما بك أنتَ حبيبي؟

توبة: لا شيء حبيبتي، سأذهب للعمل أتُريدينَ شيئًا؟

عفاف: سلامتُكَ أُريد.

مَرّت الأيّام وتَمَّ الإعلان عن إكتشاف علاجٍ للسرطان ولكنَّهُ ببريطانيا فقط.

الحمدُ لِلَّهِ على إيجاد العلاج فقد بلغَ عبّاس الرابعة ولازالَ ضعيف البِنية

نحيل البدن، سأُعالجهُ حتّى في بريطانيا؛ ولكنْ من أينَ لي بالمال؟

رشدي أُريدُك بموضوعٍ هام.

رشدي: تفضّل توبة فنحنُ صديقان.

توبة بعدما قَصَّ عليهِ ما حَدَثَ لابنه.. والآن أُريدُ مالًا كثيرًا، فهل ستُعيرُني ما أُريد؟

رشدي: لا تَقُل هذافمالي هو مالك، ولكنْ للأسف قد تأخرت؛ فقد أعطيتُ آخر ما أملك من مالٍ لعطّارٍ كمقدم شراكة بيننا فسامِحني.

توبة: لا عليك رشدي.

الأيّامُ تمضي وتوبة لم يُدّبر المال، وقد اِزدادت حالة عبّاس سوءًا؛ حتّى أصبح طريح الفِراش وأُمّهُ بجوارهِ تَبكيه.

لَعِبَ الشيطان دورهُ في الوسوسة لتوبة بأنْ يسرق ما يُعالج به عبَّاس، ثُمَّ يُعد ما سرقَ حينَ يجمعهُ من عمله، فذهب لإحدى العمائر في أرقى أحياء القاهرة سرق معظم الشُقق وخرجَ بمالٍ ومصاغٍ ذهبية ، بَنى بيتهُ وزخرفهُ ثُمَّ استعدّ ليذهب بعبّاس إلى بريطانيا ليُعالجهُ بعدما أرسل إلى المُستشفى المال فحدثت المفاجأة؛ مَاتَ عبّاس صباح يوم السفر، وضَاعَ عليه السفر والمال.

ظلّت عفاف تَبكي على ولدها حتّى لَحِقَت بهِ بعد شهرٍ من موته، وبَقِيَ توبة وحيدًا كما كانَ سابقًا.

فتركَ البيت ولم يدخلهُ، وظلَّ يعمل حتّى جَمَعَ ما سرق، ثُمَّ تصدق بهِ عن مَن سرقهم؛ ثُمَّ جلسَ على أعتاب المسجد بعدما هَرِمَ نادمًا على ما فعل، كل مُناهُ أنْ يعود الزمانُ يومًا ليرضى بقضاء اللَّهِ وقدرهِ فلا يسرق رزقُ غيره.

طه: آهٍ ثُمَّ آهٍ عليكَ عمّ توبة.

توبة: ليتَ الزمان يعودُ يومًا ثُمَّ بَكى ونام.

بنو امرأة

مُرشدي أينَ أُمُّك؟

لم تأتِ بعدُ جدّتي.

الجدّة: وأينَ أخويك؟

مُرشـــدي: أحـــدهما فـــي البِقالـــة والآخـــر يَرعى غنم الحاج حامد.

الجـــدّة: وهـــل أنهيـــت عملـــك الـــذي طلبتُـــهُ منك؟

مُرشـــدي: نعـــم جـــدّتي، فقـــد أعـــددتُ طعـــام الطيـــور ووضـــعتهُ لهـــم، ولـــم أنســـى وضـــع الماء كما حَدَثَ سابقًا.

الجدّة: أحسنتَ بُنيّ.

السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

وعلـــيكم الســـلام ورحمـــةُ اللَّهِ وبركاتـــه، لماذا تأخرتِ أُمّ يونس؟

ولمَ تبكين؟

أُمّ يـــونس: تـــأخرتُ لتـــأخر الفَالوكـــة، وأَبكـــي لكسر البيض منّي دونَ قصدي.

الجـــدّة غاضـــبة: مـــاذا تقـــولينَ أنـــتِ؟.. يـــا اللَّه.

أُمّ يـــونس: لا تحزنـــي أُمّـــي، فـــواللَّهِ حَـــدَثَ مـــا حَدَثَ رُغمًا عنّي.

الجدّة: لا دخلَ لي بهذا، كيف أُصدقُكِ؟!

أُمّ يـــــونس: مـــــاذا تقصـــــدينَ حمـــــاتي أُمّ صِدّيق؟

أُمّ صـــــدّيق: تعـــــودينَ إلـــــى حيـــــثُ جئـــــتِ وتأتيني بقشر البيض؟!!

أُمّ يونس: حماتي باللَّهِ عليكِ، فالطريق طويل والشَّمس مُحرقة و....

أُمّ صدّيق مُقاطعةً: إفعلي ما أمرتُكِ بهِ وإلَّا غَضِبتُ عليكِ.

ذهبت أُمّ يونس إلى حيثُ جاءت؛ لتجمع لحماتها قشر البيض.

أُختي هَلّاَ امتطيتِ هذه الدابة معي؟

شكرًا لك أخي.

ولكنَّ الطريق طويل ولا أحد هُنا.

قُلتُ لكَ شكرًا.

كما تُريدين.

إلى متى ستظلينَ هكذا مُرضِيّة، فمذ مَات صدّيق وأنا أحملُ عبء البيت على عَضُداي، ولم أهنأ بعد، حتّى حماتي لم

تُقــدّر مــا أنــا فيــه، فقــط إذهبــي أُمّ يــونس، عودي أُمّ يونس.

وبعدَ نصف ساعة.

ما هذا القشر أُمّي؟

قشــرُ البــيض الــذي كُسِــرَ؛ كــي تُصّــدقني جدّتُك يونس!

يــونس وقــد ربــت علــى كتفِهــا: لا تحزنــي أُمّي فواللَّهِ لينصرنَّكِ اللَّه.

أُمّ يونس: سَلّمتُ أمورى لِلَّهِ بُنيّ.

يونس: إذًا فلن يُضيّعكِ.

الســلامُ علــيكم أُمّــي، هــذا هــو القشــر الــذي طلبتِ!

أُمّ صــــدّيق: وعلــــيكمُ الســــلام ابنتــــي، لا تحزنــــي فمــــا فعلــــتُ ذلــــك إلَّا لأُعلّمــــكِ كيــــف

تُحافظينَ على ما يُوكلُ إليكِ فعلهُ، ولتكوني قادرة على إيجاد حلول لمِثل هذه المواقف فسامحيني أُمّ يونس، ثُمَّ عانقتها.

أُمّ يونس بعينٍ مُدمعةٍ: سامحتُكِ أُمّي.

أُمّي.. جدّتي قد جمعتُ بيض الدجاج لهذا اليوم فلتنظرا كم هو كثير.

أُمّ صدّيق: ما شاء اللَّهُ لا قوة إلَّا باللَّه.

أُمّ يونس: ألا هل بَرَّكتَ بُنيّ؟

مُرشدي: بارك اللَّهُ لنا فيما رزقنا.

أُمّ صدّيق: إذهب ليونس وأعطهِ هذا البيض وأخبرهُ بأنَّ دُفعة البيض التي اِنتظرناها لم تأتِ بعد؛ فاجعلهُ يُسَّجِل هذا بدفتر البِقالة.

مُرشدي: حسنًا جدّتي.

جدّتي هذا ما أعطانيهِ الحاج حامد نظير رعيي لغنمهِ هذا اليوم.

حسنًا ماجد أعطي هذا التمر لأمك.

ماجد: حسنًا جدّتي.

مَرّت الأيَّام وكَبُرَ الأبناء وأصبحت أُمّ يونس هي المسؤول الأول والأخير عن البيت بعد وفاة حماتها أُمّ صدّيق.

يونس ضع هذهِ البقوليات في البِقالة بجانب الفول السوداني، ولا تدع السُكّر دون غِطاء فالنملُ كثيرٌ هذهِ الأيَّام، وأَبعِد صفائح الجاز الأبيض (الكيروسين) عن صفائح الزيت.

يونس: حسنًا أمي.

أُمّ يونس: مُرشدي أين حصيلة اليوم من مزرعة الطيور؟

مُرشدي: ها هيَ أُمّي، هذا بيضُ الدجاج وهذا بيضُ البط وهذا بيضُ الإوَّز.

أُمّ يونس: أسمعت يونس؟.. خُذ هذا البيض وسَجِل لي ما سمعتهُ في دفتر البِقالة.

يونس: سأفعل أُمّي.

أُمّ يونس: ماجد كيف حال أغنامنا؟

ماجد: بخيرٍ أُمّي، فالخِرافُ زائدٌ وزنُها، والماعزُ مليءٌ ضرعُها؛ وقد أعددنا الجُبن والسمن والقشدة كما أمرتِ.

أُمّ يـــونس: حســـنًا، كُـــن علـــى اِســـتعداد فالتـــاجر صـــموئيل ســـيأتينا فـــي الصـــباح ليبتاع بضائعنا.

ماجد: مُستعدٌ من الآن أُمّي.

مَـــرَّ عـــامٌ وقـــد توســـعت تجـــارة أُمّ يـــونس لتُصـــبح تـــاجرة معروفـــة فـــي قريتهـــا والقُرى المُجاورة.

يـــونس.. ماجـــد.. مُرشـــدي فلـــذاتي، أُريـــدُ أنْ أفرح بكم فقد شاخت مُرضِيّة!

يونس: زادكِ اللَّهُ عُمرًا وصحةً أُمّي.

ماجـــد: يكفينـــا وجـــودكِ بحياتنـــا فهـــذا أعظـــمُ الفرح.

مُرشدي:روما الفرحُ إلّاكِ أُمّ يونس؟

أُمّ يـــونس: بـــارك اللَّهُ لـــي فـــيكم رجـــالي الأعـــزّاء، قـــد خطبـــتُ لكـــم مـــن خالاتيكُمـــا وخالكم فما رأيكم؟

يونس: الرأيُ لكِ أُمّ يونس.

ماجد: كما تُريدينَ أُمّي.

مُرشدي فَرِحًا: حسنًا فعلتِ أُمّي.

أُمّ يـــونس: يـــونس خطبـــتُ لـــك ســـيّدة بنـــتُ خالتُـــك ســـعدية، ماجـــد خطبـــتُ لـــك عايـــدة بنـــتُ خالـــك زكريـــا، مُرشـــدي خطبـــتُ لـــك فـــائزة بنـــتُ خالتـــك نجـــاح، أموافقـــونَ أم ماذا؟

رَدّوا فـــي صـــوتٍ واحـــد: يُرضـــينا مـــا أختـــرتِ أُمّ يونس.

أُمّ يـــونس: حســـنًا إذًا، فلتســـتعدّوا فَيـــوم عُرســـكم ســـيكون الخمـــيس الموافـــق الســـابع عشـــر مـــن إبريـــل لهـــذا العـــام، عـــام ألـــف وتسعمائة وثمانية وستون.

يونس: إذًا بعد شهرٍ من الآن.

ماجد: هذا جيّد لنستعدّ إذًا.

مُرشدي: حسنًا.

مَضـــى الشـــهر وجـــاء العُـــرس، عُـــرس بنـــو مُرضِيّة كما يشتهرون في قريتهم.

أُمّي لماذا تبكينَ؟

أُمّ يـــونس: أبكـــي فرحًـــا فلـــم أُصّـــدق أنّـــي سأســـعد وأرى عُرســـكم مـــن كثـــرة مـــا لاقيـــتُ مـــن أســـى ونَصَـــب وفقـــر، ولكـــنْ الحمـــد لِلَّهِ الـــذي أبـــدل فقرنـــا غنًـــا وحزننـــا فرحًـــا

وبُكاءنـــا ضـــحكًا وأَلَمِنَـــا راحـــة ثُـــمَّ قَبّلـــتهم وقبّلوهـــا، وصـــعدوا الطـــابق العلـــوي، منتظـــرين قـــدوم النســـوة بزوجـــاتهم كُـــلٌّ فـــي غُرفتهِ.

فاطمة الأمينة

أشرقت الشَّمس لتُعلنَ قدوم يومٍ جديد، خرجت العصافير من عُشّها لتُغرّد فوقَ الأغصان، ضَجّت القرية بأصواتٍ مختلطة ما بينَ إنسٍ وماشية.. تناولت فاطمة الإفطار مع أُمّها وإخوتها ثُمَّ ذهبوا إلى المدرسة الإبتدائية حاملينَ كُتبهم في حقائبٍ من القِماش، أخاطتها لهم أُمّهم لعدم تَمكُّنها من شراء حقائب جاهزة، أخذوا يتحدّثون طِيلة الطريق حتّى وصلوا لبائعة الطعام؛ أخرجوا مصروفهم الزهيد ليبتاعوا بهِ بعض الخُبز ورُّبما القليل من شرائح الطماطم _ليتناولونَّهُ بالفُسحة نظرًا لغلاء طعام المدرسة_ أثناء ذلك تنبهت فاطمة

لشيءٍ تحت قدمها، طأطأت رأسها لتَرى ثُمَّ التقطتهُ.. حافظة نقود مليئة عن آخرها حتّى أنَّ بعض النقود خارجٌ منها، هَمَسَت لإخوتها الأربعة فحملقوا بها لكثرة ما بها من نقود، ثُمَّ مَدّت يدها بحافظة النقود للبائعة قائلة:عمّة أهذهِ لكِ؟

حملقت البائعة بها وأخذتها فدَستّها بدرعها دونَ أن تنبس بكلمة.. أيُّ كلمة.

أخذوا الخُبز وبعض شرائح الطماطم وأكملوا سيرهم.. ثُمَّ أخذوا يُلقونَ اللومَ على فاطمة، فكيف لها أن تتصرف هكذا وهم أحوج ما يكونوا إلى جُنيهٍ واحد لا الكثير من الورق ذو فئات الخمسين والمائة والعشرين والعشر والخمس

جُنيهات، أخذت فاطمة توضح لهم فلم يُنصتوا لها، ثُمَّ غَضبوا منها لأنَّها أعطت الحافظة للبائعة والتي أثارت شكّهم فيها بتسرعها في دَسّها دونَ أن تتفقدها.

وَصلوا المدرسة ودلفَ كُلٌّ منهم فصله بعد طابور الصباح ومُمارسة بعض التمارين الرياضية. جلست فاطمة بمقعدها الأخير في صفِّ البنات، وضعت حقيبتها أمامها على الطاولة، ثُمَّ وضعت يدها على وجنتها وأخذت تُفكّر بكلام إخوتها.. إخوتي معهم حقّ في غضبهم منّي؛ فأُمّي قد تَعِبَت من حَمل المسؤولية دونَ شريكٍ أو مُعينٍ بعدما مات أبي _رَحِمَهُ اللَّه_ فلم يزل صوت أنينها

وبُكائهـــا أثنـــاء تضـــرعها للهِ عالقـــاً فـــي ذهنـــي، كمـــا لا يـــزال صـــوتها المقهـــور _حـــينَ طلـــب أُخـــيّ منهـــا أن تَكســـوهُ قميصـــاً كســـائر زملائـــه _يُقطّـــعُ داخلـــي، ولكـــن مـــا فعلتـــهُ اليـــوم يُعبّـــر عـــن صـــدق أمـــانتي لأُمّـــي؛ وهـــو أن أُحـــافظ علـــى مـــا زرعتـــهُ فيَّـــا مُنـــذُ نعومـــة أظـــافري، كمـــا أنَّنـــي لا أتنـــازلُ عـــن مبـــدأئي لقضـــاءِ حـــاجتي، وكمـــا علّمتنـــي أُمّـــي مَـــن تجـــرع الصـــبر أحيَّـــاهُ عزيـــزًا، ثُـــمَّ انتبهـــت لصـــوت زميلتهـــا ســـعاد تُخبرهـــا بـــأنَّ المُعلّمة حنان قد حضرت.

اِنقضـــى اليـــوم الدراســـي وتَجَمَّـــعَ الإخـــوة ثُـــمَّ ذهبـــوا عائـــدينَ إلـــى البيـــت دونَ أن يتحـــدّثوا على غيرِ عادتهم.

بيتٌ صغير مبني من الطوب بأرضيةٍ تُرابية، وطُلمبة مياه ودورة مياه بدائية، تتوسطهُ صالة صغيرة تقدمها غُرفة نوم وتخلفها أُخرى، بالإضافة لمَندرةٍ لا تزيد عن الصالة سوى مترين، بابه عتيق مصنوع من جذع الشجر وبهِ بعض الشقوق.

وضعت عزيزة الطعام على صينيةٍ متوسطة ووضعتهُ على طاولةٍ صغيرة مُتهالكة بالصالة، سَمِعت طرق الباب، فتحت ورَدّت التحيّة على أبنائها.. ثُمَّ سألتهم عن سبب عبوس وجوههم بهذا الشكل؟

لم يُجيبوا ودلفوا غُرفتهم لتبديل ملابسهم.

بـــدّلوا ملابســـهم وصَـــلّوا ظُهـــرهم وجلســـوا لتناول الطعام.

وبعـــد دقـــائق.. فاطمـــة دعـــكِ مـــن الصـــينية فســـأحملُها أنـــا، والآن لتُخبرينـــي عمّـــا حَدَثَ؟

وضـــعت الصـــينية علـــى الطاولـــة وجلســـت أرضـــاً مـــع أُمّهـــا ثُـــمَّ أخبرتهـــا وأضـــافت: ولهذا فإخوتي غاضبونَ منّي أُمّي.

قَبّلتهـــا الأُمّ وتبســـمت لهـــا ثُـــمَّ أضـــافت: حســـنًا فعلـــتِ فاطمـــة الأمينـــة، فـــنعمَ البنـــتُ أنـــتِ، ولـــو أنَّـــكِ فعلـــتِ غيـــر ذلـــك لغضـــبتُ عليـــكِ، ثُـــمَّ نـــادت أولادهـــا فجاءوهـــا وجلســـوا بجوارهـــا لتُحـــدّثهم قائلـــة: أغضـــبكم فِعـــلُ فاطمـــة وهـــو الصـــواب، ولـــو أنَّها فعلت العكس لرضيتم فلذات عزيزة؟

نَظَـرَ بعضـهم لـبعضٍ قبـل أن يقـولَ قـائلهم: ولكنَّهـا أخطـأت أُمّـي فمَـن أدراهـا أنَّ بائعـة الطعام هي صاحبة النقود؟

رَدَّت بعصـبية: هـي لـم تُخطـئ فقـد رأت أنَّ أقـرب مكـانٍ للحافظـة هـو نافـذة بائعـة الطعـام لـذا سـألتها وقـدّمت لهـا النقـود، فـإن كانـت النقـود لهـا فـالأجرُ لفاطمـة وإن كانـت قـد أخـذت مـا لـيس بحقّهـا فـالوزرُ لهـا والأجـرُ لفاطمـة أيضًـا، ثُـمَّ كفكفـت دمـع بُنيّتيهـا وقَبّلـت جبينهـا، والتفتـت لأولادهـا لتُضـيف: أمَّـا أنـتم فقـد وخـزتم قلبـي بغضـبكم مـن أُختكم وأشـعرتموني بـأنَّني لـم أكفيكم مَؤونة و....

قاطعوهـــا ببكـــائهم علـــى قـــدميها وقَبّلـــوا رأســـها ويُمناهـــا وأخـــذوا يستســـمحوها حتّى سامحتهم.

اِعتـــذروا لفاطمـــة وقَبّلوهـــا قـــائلينَ بصـــوتٍ واحـــد: فـــنِعْمَ البنـــتُ فاطمـــة ولـــنِعْمَ الأمينـــةُ هي.

تبســـمت لهـــم قائلـــة: ونِعْـــمَ الإخـــوةُ أنـــتم أشقاء قلبي.

مريم توركان

الفهرس:

الإهداء..... 4

1- نبض الفراولة..... 5

2- نورشان..... 16

3- السائر على خُطى الشَّيطان.... 30

4- دُمية زوجي..... 48

5- هُناكَ تختفي الأشياء..... 60

6- مفتاح سرّ الحياة..... 67

7- لا تعتذر فقد جَفَّ البئر..... 79

8- في بيتنا صوفي..... 87

9- بعض الحَمقى لا يموتون..... 97

10- سعادة في بيت أبيها..... 108

11- عِبرة..... 122

12- أبو أهله..... 142

13- رداء سُليمان..... 155

14- ليتَ الزمان يعودُ يومًا..... 175

15- بنو امرأة..... 193

16- فاطمة الأمينة..... 203